روايات أحلام

منتديات ليلاس

الثقافية

قتلتها البسامة

www.liilas.com

روايات أحلام

منتديات أسرار الرومانسية
www.liilas.com

قتلتها ابتسامة

ماذا تفعل فتاة طموحة كي تصبح سكرتيرة ناجحة ؟ طبعاً يجب الا تزرع وجه رئيسها بالخدوش ! ولكن إيريان فعلت هذا في يوم عملها الأول، ولكي تحتمي من غضب رئيسها أشهرت في وجهه سلاح الدموع..

ما أثار حيرتها أنها اكتشفت وجوهاً أخرى للسيد هارت غير الوجه المخيف الذي تعرفه. فهل تستطيع أن تثق به؟ هل تبوح له بأسرار ماضيها؟ وكيف تفتح له قلبها وهو الذي يعيش على حب امرأة لا يمكنه الحصول عليها؟

وفي اللحظة الحاسمة استجابت لتحذير عقلها : لو خطوتِ نحوه ستندمين العمر كله !

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل. الإمارات ٦ د. مصر
سوريا ٥٠ ل.س. قطر ٦٠٠ ر. الغرب
الأردن ١ د. البحرين ٦٠٠ ف. تونس ١.٥ د. السودان
الكويت ٥٠٠ ف. السعودية ١٠ ر. عمان ٦٠٠ ب. العراق

١ ـ النمرة الحمراء

ترددت أصابع ايريان هارت على لوحة مفاتيح الآلة الاليكترونية التي كانت تطبع عليها، ثم هوت يداها إلى حضنها، وبدأت النظر بلهفة إلى النافذة الصغيرة ولكن كل ما استطاعت رؤيته، هو قطعة من السماء الزرقاء تبرز بين بناءين رماديين شاهقين. تنهدت.. اليوم عيد مولدها الحادي والعشرين.. وهو أمر لم تعلنه أمام أحد وتشعر بالندم على ذلك الآن.. فكرت متجهمة: ألم يكن من الأفضل أن تجعلي من حولك يحتفل بك في هذا اليوم المهم بالنسبة لك. إنما ما هو المهم في هذا؟ في هذه الأيام لا يعتبر بلوغ الحادية والعشرين حدثاً مهماً كما في الماضي بل الثامنة عشرة هي مفتاح الأبواب الآن..

ارتجفت داخلياً لأنها تذكرت عيد مولدها الثامن عشر، وجو البؤس الذي أحدق بها. وكان أحد الأسباب التي دفعتها إلى تجاهل أعياد ميلادها السابقة، ولكن بلوغها الحادية والعشرين من العمر كان أمراً مختلفاً ضربها على رأسها.. حسناً.. سرعان ما يمضي.

بدأت الطباعة مرة أخرى.

يقع قسم الطباعة في شركة كاسيدي وتشايس في الطابق الثاني من مبنى ماكميهون هاوس مع قسمي المحاسبة وشؤون الموظفين.

وقد عملت ايريان في شركة المواشي هذه عاماً تقريباً، ولكنها كانت تعرف اسم الشركة قبل أن تعمل فيها والواقع كان الاسم في مجتمعات كوينزلاند الريفية حيث ولدت وترعرعت هو أسم عائلي. ولكن الشركة في هذه الأيام لا تحمل إلا بعض الشبه بأصولها في القرن الماضي والسبب انخراط سيد اسمه ماكميهون في شراكة مع السيد كاسيدي، لمضاعفة مبيعات المواشي الحية والأرض والحنطة، والجلود المدبوغة، والأملاك.. تحولت الشركة في هذه الأيام بشكل رئيسي إلى شركة شحن وعقارات ووكالات سفر. وأصبح لها مبنى خاص بها وسط بلدة «بريزبن».. لم تكن شركة عملاقة لكنها كانت ذائعة الصيت.

لم يعد في مجلس الإدارة من أسرة كاسيدي من يمثلهم مباشرة ولكن في مركز المدير السيد فيلمور ماكميهون وهو رجل صخري الجثة ودود المظهر، في الخمسينات من عمره وله عينان فناكتان تبرزان كلما رأى فتاة جميلة.. هذا ما حذروها منه علماً أنها لم ترَ دليلاً يثبت هذا.

في وقت ما دخل شريك ثالث فأصبح مركز نائب الرئيس حالياً في يد كيڤن تشايس ولكن ايريان وبعض الموظفين كانوا أقدم من نائب الرئيس، بالنسبة لسنوات الخدمة.. لأن كيڤن تشايس خلف والده منذ ستة أشهر فقط، واتجه فوراً إلى مجلس الإدارة ليشغل مركز والده الذي شغله إثر موت آخر فرد من أفراد كاسيدي.

تقول الشائعات المتداولة إن السيد تشايس قادر على الوصول إلى هذا المنصب بدون العمل في الشركة سابقاً.. على أي حال كانت أسرة تشايس شريكاً تقليدياً أما مركز نائب الرئيس فالمفروض أن يتولاه فرد من أفراد عائلة كاسيدي ولكن لم يبق أحد من هذه الأسرة ليتولى المنصب.. مع ذلك.. أصبح من الواضح سريعاً أن كيڤن تشايس، هو قوة يمكن الاعتماد عليها فلديه خطط لشركة

www.liilas.com

«ماكميهون، كاسيدي، وتشايس» بناءة جعلت ذوي العقلية القديمة يجلسون ويثيرون الشائعات.. وأصبحت فجأة الخطوات القديمة الطراز التي تسير فيها الأعمال في المبنى القديم حية ومثابرة.

العديد من الموظفين أحبوا كيڤن تشايس كثيراً ولكن لا أحد يستطيع أن ينكر سمعته بالنسبة لسرعة غضبه وسخريته المدمرة ولكنه كان يمتلك أيضاً قدرة على إنجاز مشاريع كثيرة، ويدعي بعض الخبراء أن نظرته للأمور المالية والتوسع غير مستحيلة التحقيق بل هي في الواقع تدل على ذكاء مفرط.

على كل حال، من الإنصاف القول إن كيڤن تشايس هزّ المؤسسة من الداخل إلى الخارج في أقل من ستة أشهر، وإن عملية التسريع، ونفض الغبار عبأت قلوب بعضهم بالضغينة تجاهه.

لم يكن من غير العادي سماع انتقادات مريرة بشأنه وهي انتقادات طالما سلت ايريان وسمعت تعليقات سوداء تفيد أن ماكميهون لن يتحمل كثيراً طريقته المتعجرفة.

اكتشفت أن قسماً من العائلة الموسعة، على استعداد لمسامحة كيڤن تشايس على تطرفه.. وهذا القسم هو القسم العائلي..

الآن، إن من يملك القدرة على جذب الفتيات الجميلات هو بلا ريب كيڤن تشايس البالغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً وهو طويل القامة رشيق يتهادى في مشيته كالنمر، شعره أسود كثيف وعيناه زرقاوان غير عاديتين، أجل.. لا مجال لإنكار بهاء طلته حتى في غضبه. إنه يسبب العذاب للفتيات اللواتي يقعن في حبه ولكن ايريان ليست إحداهن ممن كن يرغبن في ترويض الوحش الكامن فيه.

كانت ايريان فتاة يفوق طولها الحد العادي وهي ذات جسد رشيق، يجذب الكثير من الرجال.. مع أنها تراعي دوماً ارتداء الملابس البسيطة. ولكن الأمر غير سهل حين تكون الفتاة مميزة بشعر أحمر أجعد وبعينين خضراوين ووجه بيضاوي صغير يبدو

صبياناً، مع أنها لا ترى نفسها جميلة ولكنها في الواقع مديدة القامة، ملوكية المظهر، هادئة، واثقة من نفسها..

ـ آنسة هارت؟

رفعت ايريان رأسها، تقول فوراً: «نعم آنسة توماس».

الآنسة توماس هي مديرة المكتب، لكنها على أي حال تمتلك حضوراً آمراً. إنها طويلة، ممتلئة الجسم متجهمة الوجه لا شعر أبيض في رأسها ولا يظهر على نظارتيها أبداً أية شائبة أو على فساتينها أو بذلاتها السوداء. الشيء الوحيد الذي ينقذها من المظهر الرجولي، هو يداها الجميلتان البيضاويتا الأظافر والبروش الكريستالي الصغير الذي هو، كما تقول الشائعات ذكرى من الحبيب الذي مات قبل ثلاثة أيام على زواجهما.

تجد ايريان هذا النوع من الشائعات ساحراً لسبب ما، وكانت كلما رأت الآنسة توماس أو اتصلت بها تحاول تصورها فتاة صغيرة واقعة في الحب..

على أي حال، وجدت ايريان نفسها اليوم، عرضة لنظرات الآنسة توماس الممعنة فإذا المواقف منقلبة وإذا الآنسة توماس هي التي تحاول تصورها الآن في دور آخر.

ثم قالت الآنسة توماس:

ـ هلا دخلت إلى مكتبي آنسة هارت؟

تمتمت ايريان بهدوء: «بالتأكيد».

خفق قلبها خفقة قلق وعادت بها أفكارها إلى ما فعلته في الأيام القليلة المنصرمة. دخلت مكتب الآنسة توماس وهي تفكر، فليس من المعتاد دعوة أحد إلى هذا الحمى المقدس ذي الجدران النصف زجاجية التي من خلالها تستطيع السيدة الإشراف على أرض سيطرتها: قسم المحاسبة وشؤون الموظفين، وقسم الطباعة.

فكرت ايريان، ربما كان الأمر يتعلق بطلب نقلي إلى فرع

السفريات. : أم تراها تريد أن تتمنى عيد مولد سعيداً.

بدأت الآنسة توماس الكلام: «آنسة هارت».

ثم ترددت وكأنها تفكر مرة أخرى. . فغاص قلب ايريان، ولم تعد تقوى صبراً، فسألت:

ـ هل ارتكبت هفوة ما؟

بدت الآنسة توماس دهشة قليلاً:

ـ لا. لا. . أنا مسرورة جداً من عملك. . ولهذا السبب. .

عبست ايريان بسبب هذا التردد القاتل:

ـ إذن، أنا بلا شك عدد زائد عن حاجة المكتب؟ هل هذا هو الأمر؟

بدا وجهها الصغير البيضاوي متألماً، شاحباً تحت الخصلات الحمراء التي كانت تتسرب من تحت الربطة التي تضعها على قمة رأسها.

قالت الآنسة توماس بسخط:

ـ بالتأكيد لا. . أيبدو أن لدينا فائضاً في عدد الموظفات؟ ألسنا جميعنا مرهقين من العمل؟

ـ حسناً، أجل. . ظننتك تريدين التحدث في أمر تجدين صعوبة في قوله لي.

تنهدت الآنسة توما: «هذا صحيح. . الواقع أنني أجد صعوبة في اتخاذ قرار ما وعلى ما يبدو أن لا خيار آخر أمامي. . على أي حال أنت ناضجة أكثر من الأخريات. . ومن الأفضل لي أن أتعامل أنا مع وكالة التوظيف التي سترسل إلينا بديلة لا نعرف عنها شيئاً عوضاً عن أن يتعامل هو معها».

ظهرت عليها تكشيرة غريبة فحدقت ايريان إليها:

ـ أتحدث عن السيد تشابس. . أصيبت سكرتيرته الخاصة بانهيار عصبي. وتبعاً لهذا أصبحت مسؤولة عن إيجاد بديل عنها. .

وهذا ليس بالأمر اليسير.. على أي حال، ومهما كان الأمر.. أحتاج إلى من يتحمله في الوقت الراهن، وهذا الشخص هو أنت.. آنسة هارت.

فغرت ايريان فاها، وهمست بعدم تصديق: «أترينها فكرة صائبة؟»

وجدت الآنسة توماس كلامها مسلياً فقالت:

ـ إنه لا يأكل البشر.

ابتلعت ايريان ريقها: «ما يشاع عنه يوحي بانطباع كهذا. ما الذي سبب الانهيار العصبي لسكرتيرته»؟

طاف شبح ابتسامة على شفتي الآنسة توماس:

ـ أعتقد أن السبب شخصي.

ـ ولكن.. ليس لدي خبرة لأكون سكرتيرة خاصة.

ـ لديك المؤهلات الأساسية.

نظرت إلى ملف ايريان أمامها وأضافت:

ـ أعني، لقد تلقيت دروساً في السكرتاريا والاستقبال.

ـ أنا.. أجل.. لكن..

ـ وأرى أنك بارعة في الاختزال.

ـ أجل.. إنما لم تتح لي فرصة استخدام هذه البراعة.

ـ ستستخدمينها. سأقول للسيد تشايس إنك ستكونين بطيئة قليلاً مؤقتاً.

أغمضت ايريان عينيها:

ـ آنسة توماس، لا أظن أن السيد تشايس..

قاطعتها الآنسة توماس برقة: «آنسة هارت.. إن السيد تشايس يشبه كثيراً أباه الذي عملت معه، هو في بعض الأحيان صعب الإرضاء لأنه يحب أن يكون كل شيء كاملاً وفي أحيان أخرى مزاجي. ولكنه رغم مزاجيته رجل منصف لذا لن يتوقع منك اجتراح

المعجزات.

لم تستطع ايريان التفكير في ما تقوله، وهي التي شاهدت أمثلة عن مزاج كيڤن تشايس عن بعد.. الأمر الذي حداها إلى التفكير ملياً في الأمر قبل الموافقة، ولكن ظهر لها كذلك أن الآنسة توماس في ورطة ما، وأنها برفضها هذا الطلب تجعل من الترقية التي تنشدها أمراً صعب المنال.

قالت عاجزة: «أعتقد أن كل ما عليّ هو أن أفعل ما بوسعي».

ـ أنا واثقة من هذا آنسة هارت.

ـ متى أبدأ؟

ـ الآن.

ـ الآ.. الآن؟

نظرت برعب إلى تنورتها القطنية الوردية اللون وإلى البلوزة الصفراء اللتين لا تناسبان سكرتيرة خاصة.. مع أنها لا تظن أن تغيير ملابسها سيضفي عليها هالة التفوق التي تحافظ عليها كل السكرتيرات الخاصات، إنما قد تمنحها الثياب الثقة بالنفس..

قالت الآنسة توماس: «أجل.. الآن. إنه بانتظارك. ثمة أمر واحد آنسة هارت.. لا تقعي في هواه. ألاحظ أنه يؤثر كثيراً في النساء ويجذبهن.. ولكنني كذلك أعرف أنه مرتبط، بطريقة ما».

وقفت ايريان وقالت بحزم: «لا تقلقي على هذا آنسة توماس.. ليس ذلك مشكلة».

عندما ابتعدت عن قسم المحاسبة وقسم شؤون الموظفين وقسم الطباعة، شعرت بأنها في عالم مختلف. وقفت مترددة أمام باب جناح كيڤن تشايس.. المكان أهدأ جداً وأفخم مظهراً.

كان الباب نصف مفتوح فتساءلت عما إذا كان عليها أن تقرع الباب.. ولكنها كانت تحمل كل الأغراض التي كانت في مكتبها في الأسفل وهذه الأغراض موضوعة في سلة مهملات معدنية حادة

الزوايا، وضعت فوقها كيس فاكهة، وأشياء أخرى اشترتها اليوم من بين كل الأيام. إن قرع الباب يعني وضع كل هذه الأغراض من يدها، ثم جمعها مرة أخرى.. وهي السبب أساساً في صعودها الطابقين سيراً، بدل استخدام المصعد.

على أي حال، لن يكون في المكتب الخارجي أحد.

هكذا أسندت كتفها إلى الباب ولكن لسوء الحظ أن شخصاً من الجانب الآخر اختار تلك اللحظة ليفتحه بقوة. صرخت صرخة قصيرة ثم فقدت ايربان اتزانها وكادت تقع أرضاً ولكنها صدمت من فتح الباب بطرف سلة المهملات المعدنية.

كانت الثواني التالية رعباً حقيقياً لأن من تلقى ضربة سلة كسلة المهملات دهش كما دهشت، هذا عدا ذكر الجرح الذي أصيب به والذي استدلت عليه من السباب المتوحش الذي أطلقه.. لم تشك في أي حال في هوية هذا الرجل. ثم حاولا معاً إنقاذ نفسيهما فكان أن انتهى بهما الأمر فوق السجادة ولكنها كانت قد رمت السلة من يدها لتنقذ نفسها ولتنقذه من إصابات أخرى.

إنما لم يغير هذا من استلقائها مسمّرة تحت ثقل جسد كيڤن تشايس، كيڤن تشايس الساخط الغاضب. عرفت ذلك لأنها سمعته، وهي مسمّرة في مكانها مقطوعة الأنفاس يشتم.

شهقت طلباً للهواء ثم فجأة اعتمت أطراف عقلها، وأخذت تقاوم لتحرر نفسها وراحت تتلوى عن غير تفكير، وتدفع أظافر أصابعها إلى أول ما وقعت عليه. تصرفت وكأنها نمرة صغيرة.

لا شك أنها فاجأته إذ تسمر لحظات أتاحت لها التلوي كالحنكليس، وتحرير يدها الأخرى التي استخدمت قبضتها ولكن لم تستطع هذه اليد الوصول إليه، لأنه أمسك بكتفيها وركع ثم جرها بقسوة لتركع معه.

صاح آمراً وعيناه الزرقاوان تقدحان شرراً:

- توقفي!

ثم أخذ يهزها بقسوة.

ولكنها لم تستطع التوقف وبدل التوقف عما تفعله تركزت أفكارها على الخلاص من ذكريات سوداء سيطرت عليها بقسوة، فشرعت تبكي بكاء هستيرياً:

- دعني! دعني!

تركها فجأة.. فتهاوت أرضاً تدفن وجهها بين يديها، وتشهق شهقات هائلة تدل على ذعرها ومحاولتها الهرب.

بقيا هكذا دقيقة تقريباً. ثم نهض كيڤن تشايس على قدميه وانحنى ليساعدها على الوقوف، ولكنها انتفضت مذعورة عندما شعرت بيده على كتفها.

قال مشفقاً عليها، وهازئاً بها في الوقت نفسه:

- آنسة هارت.. أعتقد أنك الآنسة هارت.. أؤكد لك أن سمعتي لا تقول إنني أؤذي الناس.. ما حدث كان صدفة بحتة.

أنزلت ايربان يديها عن وجهها ببطء.. وتابع الصوت من فوقها قوله:

- لا يمكنك المكوث هكذا طوال اليوم وسط بحر من أغراضك..

ارتفعت أهدابها، وأدارت رأسها من جانب إلى آخر.. على السجادة علبة محارم ورقية، وبرتقال وكل أغراضها الأخرى الغريبة، تذكرت بغموض دهشتها من الممتلكات الغريبة المحشورة في مكتبها القديم.. وتذكرت أنها وضعتها جميعاً في سلة المهملات.

ثم، راح يتضح لها كل شيء بمن في ذلك الذي وقف مشرفاً عليها والذي يحاول التفاهم معها وكأنها طفل متمرد.. فعادت تدفن وجهها بين يديها مجدداً لتذوق طعم دموع البؤس في شفتيها، بؤس

امتزج مع الإحساس بالصدمة التي تستحوذ عليها.

قال كيڤن تشايس: «هيا الآن.. آنسة هارت».

بكت: «أنا آسفة».

- وأنا كذلك. إنما هذا لن يوصلنا إلى شيء.. اسمعي.. أنا أريد مساعدتك فقط.

تمتمت:

- شكر.. شكراً لك.. أجل.. طبعاً.

وتقبلت مساعدته ولكنها ظلت تغض طرفها.

لم تكن قدماها ثابتتين لذا وجدت أنها تتعلق به بعجز فالتقفتها ذراعاه وقال بصوت ثابت:

- سآخذك إلى مكتبي، لأنه يخولك الجلوس في مكان غير علني.

أجفلت.. ولكنه تجاهلها واقتادها إلى باب داخلي ليضعها على كرسي قبالة مكتب عريض.

قال: «لا تذهبي إلى أي مكان».

رفعت عينيها فرأته يتوارى وراء باب آخر.. عندما عاد، كانت جالسة منهكة تعسة، تحدق إلى يديها المضمومتين.

تمتم: «أحمل إليك كوب ماء آنسة هارت».

وضع قدحاً من الزجاج الرقيق على الطاولة أمامها:

- لكن بإمكانك طلب ما هو أكثر إنعاشاً.

تسلل لون وردي خفيف إلى وجنتيها الشاحبتين وقالت بسرعة:

- لا.. شكراً لك.

رفعت بصرها تنظر إليه مباشرة أخيراً.. فشهقت مما رأته.. كان يضع منديلاً على خده، لكنه أبعده وهو يجلس على زاوية طاولته. نظر إليه بسرعة، ثم نظر إلى عينيها الخضراوين المذعورتين، فثمة ثلاثة خدوش بارزة على وجهه.

همست: «هل فعلت أنا هذا؟ يا إلهي!»

وقفت متعثرة وقد عاد الشحوب إلى وجهها وبدأ قلبها يخفق بلا انتظام.

دخلت نظرة تصميم إلى عيني كيڤن تشابس الزرقاوين القاتمتين ونهض بسرعة يضم جسمها المذعور بين ذراعيه.

ـ ألن تسترخي آنسة هارت.. لا.. لن آذن لك بالذهاب قبل أن تسترخي.. أعرف أن المعروف عني أنني شخص حاد المزاج ولكنه أمر سخيف! اهدئي فقط.

سحبت ايريان أنفاساً ملؤها العذاب ورفعت نظرها إليه ثم همست:

ـ أنا.. لا أدري ما أقول.

تمتم وابتسامة سريعة تلامس شفتيه:

ـ إذن، لا تقولي شيئاً.

ـ أنا...

أمرها برقة: «اصمتي آنسة هارت».

ـ أنا..

وعضت على شفتها ثم هبطت عيناها ببطء حتى أصبحتا على مستوى ربطة عنقه، ثم ارتفع ذقنها مرة أخرى وفغرت فاها ثانية.. لكنه شد ذراعيه حولها قليلاً حتى استرخت عليه.

أبقاها بين ذراعيه حتى توقف قلبها عن الخفقان كالقطار المنطلق. ثم تركها، ولكنه وضع يديها بين يديه وقال بابتسامة غريبه، لوت شفتيه:

ـ تمتلكين بالنسبة لفتاة صغيرة قبضة قوية، آنسة هارت.. أتعلمين، قد يساعدنا شرح السبب الذي جعلك مذعورة إلى هذا الحد إنما بشرط واحد.. وهو ألا تتكدري مرة أخرى.. وإلا اضطررت لاستدعاء الآنسة توماس إلى هنا.

www.liilas.com

لعقت ايريان شفتيها، وبدا لها أن كيڤن تشايس لطيف بشكل لا يصدق معها، وهذا ما جعلها أسوأ حالاً.

قالت ببؤس، ولكنها كذبت في ما قالت:

- لا أعرف ماذا دهاني.. ولكنني لم أعتقد أنها فكرة صائبة أن أعمل معك ويبدو أنني كنت على حق.

- آه! ولماذا؟

رفعت كتفيها بعجز:

- إنه شعور انتابني.

قال بعد صمت برهة: «اجلسي».

استند إلى مكتبه يتفرس فيها عن كثب فتورد وجهها.. أخيراً سأل وهو يرفع حاجبيه:

- أتقولين إنني كدت أقتلك خوفاً؟ ولكن لم يسبق أن التقينا.

- بلى.. مرة.. يوم وصلت إلى هنا.

ابتسم قليلاً: «تلك المرة.. لكنني التقيت أشخاصاً لا يحصى عددهم، وأخشى أنني لا أتذكر الجميع.. ولكنني دهش لأنني لم أذكرك، آنسة هارت».

انتفضت ايريان، وأغمضت عينيها برهة قصيرة.. وحين فتحتهما، وجدت أن آثار التسلية قد غادرت وجه كيڤن تشايس.

سألها مفكراً:

- وهل أزعجك ذلك؟ أستغرب هذا.

- أنا.. إن للون الشعر الأحمر ميزته.

بدا دهشاً فأضافت:

- حسناً.. ينعتونني أحياناً بالجزرة، وبأشياء كهذه..

- ذكريني ألا أرتكب مثل هذه الهفوة. ولكن فلنعد..

قاطعته: «لم أشعر بالخوف».

- هل آذيتك؟

ـ لا.. أعني.. لا.. لكن..

سأل عابساً: «يا له من خوف! وكأنك كنت تقاتلين من أجل حياتك!»

همست وهي تراه يتحسس وجهه بأصبعه:

ـ هل..؟ لقد فعلت.. أنا آسفة جداً.

قال بوجه خال من أي تعبير: «أنا مسرور بقولك هذا. تدركين أن الجميع سيتساءل عما فعلته لأنثى مسكينة عاجزة حتى دفعتها إلى محاولة اقتلاع عيني. ألا تعتقدين هذا، آنسة هارت؟»

نظرت إليه.. ثم قالت بيأس:

ـ أعتقد أن من الأفضل أن أذهب.

استقام: «لم أقل هذا. آسف! الواضح أنه الوقت غير المناسب للفكاهة إذن.. آنسة هارت.. أستنتج إذن أن سمعتي هي أسوأ بكثير مما تصورت.. أيعتبرونني نوعاً من الوحوش؟».

نظرت ايربان إلى العينين الزرقاوين القاتمتين: «أنت.. أنت.. لا..».

أنهت كلامها بصوت لا يكاد يكون مسموعاً وتورد وجهها مجدداً، ولعنت نفسها.

ـ أخبريني.. أنا مهتم بمعرفة رأي الجميع بي.. إنني.. متسلط ربما؟ لا أحتمل؟ مزاجي؟ سيء الطباع بشكل صارم؟

ورفع حاجبيه فسحبت ايربان أنفاسها بتعاسة:

ـ أنت تضحك مني.

اعترف مبتسماً:

ـ ربما.. لكن فلنكن صريحين.

ـ حسناً.. أجل.. أعني.. أنت أحياناً.. أنت..

ـ كل هذه الأشياء؟

نظرت إليه بائسة فقال برقة:

ـ ألهذا خفت مني؟ ولأنك حمراء الشعر، اندفعت إلى المقاومة والعراك؟

هزت رأسها بعد لحظة هزة شكر. وساد الصمت ثم قال كيڤن تشايس فجأة:

ـ لا أصدق هذا.. أظن أن شيئاً بغيضاً أصابك مرة وإن اصطدامنا هذا، ذكرك به.

تسمرت ايريان ولكن حدث أن قرع الباب، ودخلت فتاة جميلة مرتدية ثياب نادلة، تجر عربة وتقول بإشراق:

ـ صباح الخير سيد تشايس.. استراحة القهوة.. يجب أن أقول.. آه..! ماذا فعلت بوجهك؟

تلاشت بسمتها، واتسعت عيناها الزرقاوان اهتماماً.

ـ صباح الخير صوفيا.. هذا ما نحتاج إليه بالضبط.. اسكبي لنا فنجانين.. على فكرة، هذه الآنسة هارت.. ستكون سكرتيرتي الخاصة.

قالت صوفيا: «هذا ما سمعته.. ستعجبك لأن الجميع معجب بها.. صباح الخير ايريان».

ـ مرحباً صوفيا.

عبست صوفيا قليلاً، وأعادت النظر إلى كيڤن تشايس.

ـ وجهك...

دار حول المكتب ليجلس.

ـ تمادت قطتي قليلاً.. لا شيء يذكر.

ـ يا إلهي!.. يجب أن تقلم مخالبها سيد تشايس!

ـ نعم سأقلمها، أأستطيع ذلك؟

ـ بالتأكيد تستطيع.. أو اتخذ لنفسك كلباً بدلاً منها!

ضحكت بحبور: «حسناً.. من الأفضل أن أذهب.. لا تتصور كم تهم قهوة الصباح بعض الأشخاص! أراك فيما بعد ايريان!»

www.liilas.com

أدارت العربة، ثم التفتت:
ـ على فكرة.. في الخارج فوضى عارمة.
ـ إنها الآنسة هارت، صوفيا.. لقد.. تعثرت.
ضحكت صوفيا مرة أخرى، وقالت وهي تغادر الغرفة:
ـ كان صباح كل منكما سيئاً!
وأقفلت الباب وراءها.
ابتسمت ايريان.. لكن البسمة سرعان ما تلاشت وهي تسأل بلهفة:
ـ ألديك قطة؟
ـ لا.
ـ إذن...؟
ـ هذا كل ما استطعت ادعاءه أمام الفرصة القصيرة.
ـ سرعان ما يتنشر الخبر في المبنى كله ولكن لن يكون الجميع...
ـ ساذجاً كصوفيا؟
ـ لا.
ـ لا تأبهي.. فكري فقط كم سيكون هذا موضوعاً شيّقاً لهم. لكنني سألتزم بقصة القطة إذا التزمتها أنت آنسة... على فكرة.. ما الاسم الذي نادتك به صوفيا؟
أخبرته، فسألها كما يفعل الجميع عادة عندما يعرفون اسمها فأجابته بأن أمها انتقته لها بعدما سمعته وأحبته.. وبأنها لا تعرف معناه.
علق كيڤن تشايس:
ـ تزدادين غرابة.. ولكنه أفضل بكثير من اسم الآنسة هارت. لقد فكرت لتوي باسم مختصر لك، إنما لن أقوله.. سأحتفظ به حتى ساعة المعركة.

www.liilas.com

ـ ماذا تعني؟

ـ ستعرفين متى سمعته. ساعتئذ بإمكانك اعتباره دعوة لحمل السلاح.. والآن.. ماذا كان؟

ـ ماذا كان ماذا؟

ـ عزيزتي.. لست غبياً.. أكدت لي وللآنسة توماس أنك لست غبية أيضاً.. وأنا أعتقد أن الخوف الرهيب استحوذ عليك لأنك تعرضت لهجوم أو اعتداء أو لاجتياح باص.. ولكن مهما يكن، أفضل أن تكوني صادقة معي وأجد هذا أفضل طريقة للصراحة.

نظرت إليه ايريان وهمست:

ـ أجل.

ضاقت عيناه، ثم ابتسم، إنما بغير سخرية، بل بدفء وعطف فأذهلت الابتسامة ايريان..

ـ لا بأس في هذا.. فهو كل ما أردت أن أعرفه، ولا أريد أن أعرف التفاصيل.. لماذا لا تنهين ارتشاف قهوتك، وإن أصبحت بخير.. يمكننا القيام بعمل ما.

ـ ولكنني لا أفهم.. أقصد كيف تريد أن أكون سكرتيرتك الخاصة بعد ما حدث.

ـ ألم يقولوا لك؟ إنني شخص لا يمكن معرفة ما يفكر فيه.

ـ أنا..

ـ نعم؟

ـ أنا.. أنا شاكرة لك.. لكن..

انفجر ضاحكاً: «أوه.. لا تستعجلي الحكم ايريان.. فقد تندمين لأن ما يقال حقاً عني صحيح».

أنار وميض السخط عيني ايريان.

ـ كنت أحاول أن.. ربما تستطيع إخفاءه؟ وجهك؟

غيرت الموضوع بسرعة لأنها لا تعرف لماذا شعرت فجأة

بالسخط.. فهو على أي حال قادر على طردها.. ولكن أن يوافق على كل ما يقال عنه من أمور فظيعة.. إنه يدق المسمار في نعشه.

ارتفعت عيناها فرد بنظرة ذات معنى:

ـ أظن الوقت متأخر على هذا.

ـ متأخر هنا.. ولكن بعيداً عن المكتب.. بإمكانك وضع لصوق تخفي الجروح.. وهي ناجحة.

قال ساخراً:

ـ شكراً لك.. إنما لا.. كيف تعرفين أن تلك اللصوق التجميلية ناجحة على أي حال؟

ـ لم أستخدمها لكن غي وهي إحدى الفتيات في قسم الطباعة جاءت يوماً إلى العمل..

ـ ماذا؟

ـ وعلى عنقها علامة.

ـ أتعنين عضة؟

ـ أجل.. فأعطتها إحدى الفتيات الأخريات لصوقاً تجميلية.. لكنني أعتقد أنها ستبدو شاذة على رجل.. كنت أحاول التفكير في طريقة لمساعدتك.

ـ الوقت متأخر.. متأخر.. يا ثعلبتي الحمراء.

سقط فكها وبرقت عيناها الخضراوان ناراً بسبب الاسم الذي أطلقه عليها.. لكنه أكمل بشيء من الاهتمام، قبل أن ترد:

ـ إذن.. لديك طبع ناري يماثل شعرك الأصهب.. ايريان؟

نظرت إليه بغضب ولكنها تمكنت من عض شفتها لترد الكلمات الساخنة التي كانت تفور في أعماقها.. ثم صدمها أن تفكر في أن كل هذه الأحداث التي لا تصدق إنما تحدث لها في يوم ميلادها الحادي والعشرين، فكرت فجأة أن الحياة قد تكون غير عادلة.

قال كيڤن تشايس وهو يراقب دمعة متلألئة تسقط على بلوزتها:

ـ هيا الآن آنسة هارت.. يجب أن أحذرك، إن كان هناك ما

www.liilas.com

أكرهه فهو...

قاطعته مرتعشة الصوت:

- النساء الباكيات.. وأنا كذلك.. ولكنني لا أستطيع منع نفسي.. لم أكن أبكي بسببك.

- لا؟ أعتبر الدموع مؤامرة عمرها عمر الزمن تلجأ إليها المرأة حين تضغط عليها الظروف.. ولكنها تبالغ في تضخيم القضية. أعني.. أننا نخلط ما بين النساء والفتيات.

ضحكت ايريان رغماً عنها:

- لا.. بلغت الحادية والعشرين.

- ولكنه عمر لا يدل على أنك كبيرة. أعترف أنك تبدين أصغر من عمرك لكن لماذا المرارة في صوتك؟

- مرارة؟ وهل تبدو المرارة علي؟ الأمر فقط أنني.. لا يهم!

لم يرد.. بل جلس ينظر إليها دونما عطف.. لكن الرسالة بلغتها بوضوح. بينهما الآن، بكلمات أخرى، اتفاق.

سحبت ايريان نفساً عميقاً وتحركت بقلق.. ثم قالت:

- إنه عيد مولدي اليوم.. إنه عيد مولدي الحادي والعشرين وكان كل ما فعلته في هذا اليوم هو المجيء إلى العمل وكأنه كسائر أيام حياتي مع أنه لا يشبه أي يوم آخر.. فلقد أوقعت نفسي في.. هذه الورطة!

قالت هذا بكثير من المرارة هذه المرة وعندما ارتد كيڤن تشايس في مقعده مقهقهاً لم تخف.

وقفت وكل خط من خطوط جسدها النحيل متشنج وغاضب ومجروح. لكنه نهض هو أيضاً ودار حول المكتب ليصل إليها:

- لا.. لا تنظري إليّ هكذا.. أنا آسف على كل شيء وأوافق على أن من غير الإنصاف أن تحدث هذه الأشياء كلها في يوم مولدك.. كما أعتقد أن ما حصل يدفع أي كان إلى البكاء.. لكنني

لم أكن أعرف.. لبتك تتركين الفرصة لي لأعوض عليك.

- كيف؟ أنت تحاول إغاظتي مجدداً!

- لا.. أعدك بأن أكون الرئيس المثالي منذ الآن فصاعداً. مؤدباً، صبوراً، حريصاً، متفهماً.. وماذا بعد؟ سمي ما تشائين وسألتزم به.

نظرت عينان خضراوان براقتان إلى عينين زرقاوين قاتمتين جادتين، وسمعت ايريان نفسها تقول بارتباك:

- كن لطيفاً إذن.. أعني أنك تمازحني.. لكن بلطف.. لم أقصد..

قاطعها بجفاء: «يا حمراء! قلت لك إنني فعلاً ذلك الغول الذي فكرت فيه.. عندما تتجاوزين عيد ميلادك الحادي والعشرين فستجدين أنك كنت على حق أصلاً.. لذا لا تقولي إنني لم أحذرك! ربما علينا أن ننجز بعض الأعمال الآن، آنسة هارت؟».

وافقت بخجل.. ولكن بدا لها بعد وقت قصير، أن هذا البعد الجديد في شخصية كيڤن تشايس، أصعب من أن تتعامل معه. وحاولت أن تبرر الفكرة لنفسها.. أعني.. ماذا أعني؟ لكن كل ما استطاعت الخروج به هو أن رئيسها المؤقت هو حفنة مشاكل سواء أكان لطيفاً أم غير لطيف.. وأنها غير مهيأة للتعامل معه جيداً..

اكتشفت أن هذا اليوم المرتبك لم ينته فقد خرج قبل خمس دقائق من بلوغ الساعة الخامسة وقال لها إن الآنسة توماس تود رؤيتها قبل أن تغادر المكتب..

- مجرد عملية تقنية على ما أعتقد ايريان.. اذهبي الآن.. أراك غداً!

كانت المقابلة التقنية عبارة عن قالب حلوى على شكل قلب عليه واحدة وعشرون شمعة. كانت الفتيات من قسم الطباعة والمحاسبة وشؤون الموظفين مجتمعات لتهنئتها.

www.liilas.com

سألت ايريان الآنسة توماس بعد انتهاء الإثارة قليلاً:

- كيف.. كيف عرفت؟

- ليس منك بالتأكيد.. لماذا لم تخبرينا؟ لن تبلغي الحادية والعشرين كل يوم.

- هذا صحيح.. إنه إذن السيد تشايس؟

- صحيح.

سألت إحدى الفتيات بفضول:

- على فكرة.. بالحديث عن السيد تشايس.. ماذا حدث لوجهه؟

اتجهت جميع الأنظار إلى ايريان بما فيها عينا الآنسة توماس:

- قال إن قطته خدشته.

قالت غي بلهجة رنانة:

- لا أصدق هذا..! أعتقد أنها امرأة.. إنما الشيء العجيب حقاً أن تقول سوالين موظفة الاستقبال إنها لم تر هذه الخدوش حين جاء إلى العمل هذا الصباح!

حمل قولها هذا اعتراضات ملؤها الصدمة، ثم تحول إلى نقاش مريح عن الرجال. وحدهما الآنسة توماس وايريان لم تشاركا في النقاش.. مع أن الآنسة توماس أصغت وعلى ثغرها ابتسامة غريبة، ثم وضعت كأس الشراب من يدها وقالت:

- حان الوقت يا فتيات.. من منا سيرافق الآنسة هارت إلى العشاء؟ من الأفضل الخروج الآن.. فلن يحتفظوا بمائدتنا إلى الأبد.. آنسة هارت، هذه عقوبة إبقاء خبر عيدك سراً عنا!

ردت ايريان مقطوعة الأنفاس:

- شكراً لك.. لست أدري ما فعلت لأستحق كل هذا.. لكن شكراً لكنّ جميعاً.

٢ ـ تلامس النجوم

دخلت ايريان إلى فراشها تلك الليلة وهي لا تزال مرتبكة ولكن سعيدة فاليوم الذي بدا لها مأساوياً، انتهى بشكل رائع وكم ندمت على خجلها من ذكر عيد مولدها. كان الجميع في غاية اللطف.

لوت قسمات وجهها، ثم مدت يدها تطفىء المصباح الصغير قرب سريرها.. ولكنها لم تفعل بل عوضاً عن ذلك ضربت وسادتها تسويها، ونظرت إلى غرفتها سعياً للإحساس بالفخر والدفء اللذين طالما وفرتهما لها الغرفة.

كانت غرفة صغيرة في منزل ولكن لها مطبخاً منفصلاً وحماماً خاص، وشرفة. كانت جدرانها مطلية بلون أصفر صيني وفي أحد الجدران رفوف بيضاء تعج بممتلكاتها، شرائط مسجلة، وستيريو صغير، ما تزال تدفع ثمنه بالتقسيط، وكتب وقطع خزفية غريبة، فهي لا تستطيع مقاومة مصنوعات الزجاج والخزف وهناك أيضاً وعاء أخضر فيه بعض الزهور من الحديقة، وأربع قبعات للشمس مختلفة الأشكال.

لنافذتها ستارة شفافة فوقها قماش وردي سميك وفي الزاوية قرب النافذة مزهرية طويلة قديمة.

على الأرض بساط بلون الشوفان، مكون في الواقع من القش. على فراشها الذي يتحول إلى أريكة نهاراً غطاء جميل يكاد يبلغ الأرض وثمة مقعد وحيد من القصب ذي إطار كعقدة السلال، إلى

www.liilas.com

جانبه طاولة بيضاء فيها أدراج لها مقابض نحاسية ومصباح إطاره وردي.

قرب الأريكة خزانة صغيرة تمثل طاولة السرير التي تضع فيها وسادة النوم نهاراً.. فوقها، ساعة منبه نحاسية قديمة الطراز ومصباح من المرمر ذي رأس حريري وردي اشترته من محل لبيع الانتيكات.

فوق الأريكة أو السرير صورة لها إطار ذهبي ضخم تشبه لوحة وهي صورة منزل ريفي أبيض تحيط به حقول ذهبية مليئة بالعشب.

كان للحمام الذي هو في الأصل غرفة غسيل، جدار مثبتة فيه خزانة تضع فيها ملابسها، وكل ممتلكاتها الأخرى كآلة الخياطة القديمة الطراز التي خاطت عليها العديد من ملابسها، وغطاء السرير وأغطية أخرى، وأكياس الوسائد الموشاة والمطرزة الأطراف والشراشف الأخرى المماثلة، إضافة إلى غطاء قفص العصفور الأصفر.

لكن هذه الألوان وصلت إلى الغرفة بعد استئجارها «الشقة» كما يحلو للمالك أن يدعوها، والواقع أن المالك قسّم منزله إلى شقق صغيرة بعد موت زوجته ليؤجرها. الشيء الوحيد الذي جعلها لا ترفض المكان إيجاره الرخيص. وكانت قد خرجت إلى الشرفة الخاصة فلاحظت أن الحديقة المعتنى بها مليئة بالزهور وأن هناك شجرة «بوانيانا» مزهرة تقبع في وسط المرجة..

لكنها ترددت والتفتت إلى الغرفة الفارغة، الخالية حتى من الحياة.. وسألت المالك:

ـ أيمكن أن أطليها.

وكان رد المالك: على نفقتك! فكرت قليلاً وهي تأخذ بالحسبان أن على مقربة من المنزل موقف باص ومحلات ومكتبة. أخيراً اتفقت مع المالك الذي لم يكن يعيش في المنزل، والذي كان

ينظر إلى المستأجرين نظرة احتقار، وكأنهم من أحط الناس. هكذا أتمت الصفقة وها هي تعيش هنا منذ ذلك الوقت.. ولكنها حاولت أن تجعل مسكنها مريحاً.

فكرت وهي مستلقية على الفراش أن المكان أصبح أكثر من بيت مستقل بها.. لقد أصبحت الغرفة جنة روحية تستطيع فيها أن تحلم أحلاماً قد تتحقق يوماً ما، كما حصل اليوم.. تحلم بمكان تحيط نفسها فيه بالألوان والأضواء وقبل كل شيء بالاستقرار والديمومة اللذين افتقرت إليهما في طفولتها.

حدقت إلى السقف القديم المزيّن.. ثم ارتدت لتدفن وجهها في الوسادة.. ظننت أنني نسيت! لم أفكر في هذا منذ زمن طويل! ليس هكذا، ليس وكأن ما حدث سيحدث لي مرة أخرى.. يا لها من خدعة رهيبة يستطيع العقل الباطني أن يلعبها على المرء.. ولكنه كان ثقيل الوزن ولعل هذا ما أثارني.. ففعلت ما فعلت.. مع أن..

ارتجفت ورفعت رأسها لتضع خدها على يدها.. راح عقلها يجمع صورة وجه كيڤن تشايس الوسيم الذي تشوهه الآن الخدوش. فكرت أنه كان من حقه أن يطردني.. لذا أستغرب سبب لطفه معي. وأغرب ما في الأمر أن ينظم لي حفلة عيد الميلاد.

تأوهت، ثم تثاءبت، ومدت يدها مرة أخرى لتطفيء المصباح لكن البيغاء الاسترالي قطع عليها حركتها وتحرك ساخطاً.. فدفعت الغطاء عنها قائلة:

ـ هل نسيت أن أغطيك تشارلي.. هاك، قل تصبحين على خير ماما!

لكن تشارلي لم يرد ففكرت ربما هو صغير ليستطيع ترديد كلماتها.

بعد أسبوع من هذا، حصل المستحيل.

ولم يكن لدى ايريان أية فكرة أنه سيحدث.

www.liilas.com

فكما توقعت، وتكهن كيڤن تشايس، لم يكن الإبحار سهلاً بينهما. في الواقع كان هناك بضع مواجهات غير مريحة، إحداها كانت عن وجهه المخدوش.. وأخيراً وقع الانفجار!

التزم قصة القطة ولم يظهر غضباً منها. ولكن السؤال المهلك في هذه القضية جاء من صديق.. عرفت ايريان هذا حين خرج كيڤن من مكتبه ليحييه.. رمق رجل مرح في منتصف العمر ايريان بإعجاب، ثم ما إن ظهر رئيسها حتى نطق الكلمات بنوع من عدم التصديق والبهجة.

- ما الذي حدث لوجهك يا صديقي القديم؟

نظر كيڤن تشايس نظرة عاصفة إلى ايريان ورد بفظاظة:

- كنت سيء الحظ فاصطدمت بنمرة.

ضحك الرجل مسروراً ونظر بريبة شديدة إلى ايريان قبل أن يتمتم:

- عرفني إليها.. قد أستفيد من نمرة في مكتبي.. فحياتي العاطفية فارغة مؤخراً.

انتفضت ايريان وتورد وجهها.. ولكن كيڤن الذي صرّ على أسنانه لم يفعل شيئاً غير إدخال رفيقه المرح إلى مكتبه، وظل ذلك النهار فظاً جافاً.. عادت إلى منزلها تحس بالارتخاء كأنها الخرقة المبللة..

وجدته في الصباح التالي قد استرد مرحه ولكنه لم يعتذر. نعم لم تتوقع منه الاعتذار، ولكنها توجهت إلى العمل عازمة النية على التوضيح له بطريقة أو بأخرى بأنها ترفض أن يعاملها كما عاملها.. ولكنه سرعان ما أفرغ الريح من أشرعتها بابتسامة ساخرة.

جلست على مكتبها بهدوء تفتح البريد وتتساءل كيف استطاع إسكاتها بابتسامة. ولكنه ليس قادراً فقط على أن يسحرها بمجرد ابتسامة حين يريد، فهو يثير اهتمامها بأشكال متعددة.

ولعل أحد تلك الأشكال طريقته في معاملة صوفيا، عاملة القهوة والشاي.. وإن كان من يستحق أن ينعت بالشقراء الغبية فهي صوفيا. إنها في التاسعة عشرة من العمر وقد عملت في الشركة منذ خمس سنوات، وستبقى على الأرجح فتاة تقديم القهوة حتى آخر عمرها، وهي قانعة بذلك.. ربما السبب معرفتها بجميع العاملين في الشركة وقضاؤها جزءاً كبيراً من وقتها بالاهتمام بالمتنافسين على المراكز في المكتب، هذا عدا ذكر مشاكل شؤون الموظفين.. ولكن صوفيا طيبة القلب وفي شائعاتها دوماً شيء من الحقيقة.

إن كان هناك من يقدر على دفع كيڤن إلى تسلق الجدار فهي صوفيا.. ولكنه رغم ذلك كان لطيفاً ودوداً معها ويجعلها تضحك دوماً. كانت ايريان تكره من يسخر من صوفيا وراء ظهرها ووجدت أن رئيسها ليس واحداً منهم. وكانت ترتجف من الداخل وتأمل من الله ألا يأتي دورها قريباً.

جاء دورها في آخر يوم من أيام الأسبوع الأول.. أمضت صباحاً هادئاً نسبياً، تراجع ما مر بها في أسبوع، فوجدت أنها أبلت بلاءً حسناً. ولأنه صباح هادىء، سمحت لنفسها بالشرود ووجدت نفسها تفكر في الشائعات المتعلقة برئيسها التي سمعتها في مطعم الشركة في اليوم السابق.. هل سيدوس كيڤن تشايس قريباً على قدم فليمور ماكميهون؟ آه.. ليس قبل سنين! هذا ما قاله أحدهم، على أي حال هناك ابن لماكميهون. هذا صحيح، لكن مقارنته بكيڤن تشايس، أشبه بمقارنة نعجة بالنمر.

لكن الأقاويل التي كانت تسترق السمع إليها دارت حول العائلتين: ماكميهون وتشايس. ولماذا يعتبر بعض الناس أنه سيبقى هناك دائماً أحد أفراد أسرة ماكميهون في الشركة، تماماً كما هي الحاجة لوجود فرد من أفراد أسرة تشايس الذين يحملون معهم دوماً مواهب مميزة مختلفة.

www.liilas.com

سأل شخص آخر: لكن هل هذا صحيح؟ كانت الفكرة العامة أن الجانب الريفي من الشركة مهم جداً لها.. أما أسرة تشايس فكانت نوعاً آخر.. فهم في الشركة بسبب فطنتهم التجارية.

سأل أحدهم:

ـ أريد معرفة ما حدث لعائلة كاسيدي؟

وقد تساءلت ايريان عن هذا هي أيضاً، ولكن نظرة سريعة على ساعتها قالت لها إنها لن تستطيع الانتظار لسماع ما حدث لأسرة كاسيدي.

في اليوم التالي، كانت وقت الغداء تفكر في الحديث ولكن المنظر الذي استقبلها بعد عودتها من الغداء، أبعد جميع الأفكار المترابطة عن عقلها.

كان في مكتبها خزانة صغيرة للملفات، وكان كيڤن تشايس ينقب فيها كالمهووس، يسحب الملفات بشكل عشوائي يرميها أرضاً. عندما أصدرت صوتاً صغيراً، ارتدّ وعلى وجهه غضب إجرامي جعلها توقع سلتها خوفاً.. كانت قد اشترت ست برتقالات خلال فترة الغداء، فتدحرجت من الكيس في أرض الغرفة كلها.

راقب كيڤن تشايس ما يجري لحظات ثم رفع وجهاً مشدوداً وقال:

ـ ماذا تفعلين بها؟ أتصنعين فاكهة مثلجة كعمل إضافي؟ أم أنها وصفة جمال سرية لك؟ هل تستخلصين العصير لتحافظي على بشرتك الرائعة؟

لكن، الواقع أن النظرة التي كان ينظر فيها إلى بشرتها كانت بعيدة كل البعد عن الإعجاب.

ـ أنا.. أنا آكلها!

ـ فعلاً؟ إذن هي حمية جديدة. لقد أوقعت قبل أيام طناً منها على الأرض أيضاً.

ـ لا.. بل ست حبات فقط.. فأنا أحب البرتقال.

ـ هذا واضح عزيزتي الآنسة هارت.. وأنا لا مانع عندي إن كنت تريدين الحفاظ على بشرتك وقوامك بالبرتقال وجل ما أتمناه ألا تدأبي على إيقاعها أرضاً.

قال هذا وكأن الأمر عادة كريهة لإيريان.. فسألته بصوت تمكنت من جعله ثابتاً بجهد كبير:

ـ لا أفعل هذا.. ولست.. إنها الصدفة.. أتبحث عن شيء؟

ـ نعم أفتش عن ملف شركة ماكنتوش المحدودة. ماذا فعلت به حباً بالله؟

راجعت في فكرها كل الملفات التي استخدمتها مؤخراً:

ـ لا شيء.. لا شيء.. هل فتشت تحت حرف «م»..

يا للسؤال السخيف..

سألها ببرود: «ولماذا لا أفتش تحت حرف «م»..؟ أتظنين أنني قد أفتش تحت حرف «ج» مثلاً؟ أم تراه نظاماً جديداً؟ وضع الأسماء التي تبدأ بالميم تحت حرف الجيم..؟»

ردت بجفاء:

ـ أبداً.. هذا غباء.. أليس كذلك؟

ـ أخبريني أنت.

أخذ يتأملها مرتدية تنورة حريرية عاجية اللون، وبلوزة بنية، بدت مرتبة من رأسها حتى أخمص قدميها ولكن نظرته أوحت بأنه يراها تجسيداً للغباء.

صرّت على أسنانها، تجبر نفسها على تحمل نظرته بشجاعة..

ـ أتسمح لي بإلقاء نظرة؟

لم تجد اسم ماكنتوش تحت حرف الميم، لم تساعدها وقفته هناك، مستنداً إلى الجدار، عاقد الذراعين غاضبة عيناه بحيث بدا مثالاً للعجرفة ونفاد الصبر.

www.liilas.com

أخيراً قالت بعجز: «الملف غير موجود هنا».

ـ أدهشتني.

ـ ألا تحتفظ.. ألا يمكن أن يكون في مكتبك؟

ـ لا.

نظرت حولها.. ولكنها قبل الخروج إلى الغداء رتبت مكتبها.

ـ أنا مضطرة إذن إلى مراجعة جميع الملفات.. ولكن ذلك سيستغرق بضع دقائق..

وصمتت وهي تعض على شفتها.. فسأل وكأنه يتعامل مع طفل مجنون:

ـ وماذا في هذا؟

ـ لست.. لست مضطراً للانتظار.

قال بسخرية: «إنه للطف منك ولكنني سأنتظر».

نظرت إليه بحدة: «هل الأمر ملح إلى هذه الدرجة؟»

ضاقت عيناه الزرقاوان الداكنتان.. وفتح فمه ليدمرها فسارعت تقول بجهد أكبر:

ـ ما أعنيه.. أن وقفتك هذه توترني.

رد ساخراً: «أعتذر آنسة هارت.. لا يمكننا تحمل هذا.. أليس كذلك؟ بالتأكيد لا.. فالتوتر قد يقود إلى الذعر.. ونحن نعرف ما قد يحدث ساعتئذ.. ألم تفكري يوماً في التقدم لنيل الحزام الأسود؟ سيكون ذلك أكثر إنصافاً من محاولة اقتلاع عيني شخص ما.. لكن لا تظنين أنني أغريك بهذا! سأبتعد».

ثم توجه إلى غرفته وأقفل الباب بقوة.

أشعل التأنيب والسخط شيئاً من المزاج الأسود، فارتدت إلى خزانة الملفات، ولسان حالها يقول.. لست آسفة لما فعلته بك.. لست آسفة..

مر ما يقرب الساعة بسبب كثرة المقاطعات قبل أن تتأكد من

عدم وجود الملف في الخزانة.

تلقى كيڤن تشايس هذه المعلومات بشفتين مشدودتين وبدا في عينيه وميض خطر.

قال بصوت منخفض:

ـ إذن.. من الأفضل أن تجديه يا آنسة هارت.. فأنا أحتاج إليه.

ـ ولكنني لا أعرف أين أفتش.. إلا إذا..

ونظرت حول مكتبه.

قال بحدة:

ـ إنه غير موجود هنا.

قالت معترضة: «لكنني لا أذكر الاسم.. لو أمسكته بيدي مرة لتذكرته.. متى رأيته آخر مرة؟»

ـ كان على مكتبي منذ يومين.. كان في سلة الملفات.

ـ لو رأيته لوضعته بين الملفات..

صمتت عندما وقف ليدور حول مكتبه.

أضافت: سأذهب لألقي نظرة أخرى..

وهرعت إلى الخارج هاربة.

ما إن أصبحت في مكتبها حتى سحبت نفساً عميقاً عدة مرات.. تعرف أن لا شأن لها بذلك الملف.

ثم انفتح الباب ودخل السيد ماكميهون.

ـ آه.. آنسة...؟ هل أعرفك؟

ردت ايريان: «ليس تماماً.. أنا الآنسة هارت.. سكرتيرة السيد تشايس الخاصة.. سيدي..».

ضرب جبهته بيده الغليظة، وقال مبتسماً ابتسامة خبيثة:

ـ هذا صحيح! أصبت الفتاة المسكينة بانهيار عصبي.. أعني سكرتيرته الأخرى.. عليّ أن أعترف أن كيڤن بجيد انتقاء

www.liilas.com

السكرتيرة. كان لأول امرأة أحببتها لون شعرك وطبع كطبعك.. يا إلهي.. قال إن قطته خدشته ولكن صعب عليّ تصديقه. حسناً! لك إذن طبع يتماشى مع لون شعرك آنسة هارت.. وهذا جيد لك، مع أنني دهش. أقصد عليك أن تخدشيه في مكان غير ظاهر في المرة القادمة.. أجل.. قطعاً أنصحك بهذا.

نظرت ايريان إليه ومزيج من الإحراج يتآكلها.. فتحت فمها بضعف لتنكر التهمة.. ولكنه لم يكن ينتظر تعليقها.. فقد مد السيد ماكميهون لها ظرفاً أسمر اللون، وتابع كلامه.

ـ جئت لأرد هذا الملف لكيڤن.. أخذته منه منذ يومين.. كان على مكتبه.. ولم يكن في المكتب أحد.

رأت ايريان اسم ماكنتوش على المغلف، وتصرفت بطريقة من يصيح «قلت لك هذا!» دون أن يتلفظ بها.

ارتدت على عقبيها وفتحت الباب الداخلي وقالت متباهية:

ـ السيد تشايس هنا سيدي.. يود رؤيتك السيد ماكميهون سيد تشايس.

أدار كيڤن تشايس وجهاً متوتراً نحو الباب، فقال السيد ماكميهون وايريان ترافقه إلى الداخل:

ـ حسناً. من الأفضل أن أرده شخصياً.

لم يذكر كيڤن تشايس الملف حتى أزفت الساعة الخامسة.. فقد خرج إلى المكتب الخارجي، حيث كانت ايريان ترتب مكتبها لتخرج، وجلس على حافة مكتبها.

كانت سترة بذلته الأنيقة فوق ذراعه.. وأخذ ينزل كم قميصه المرفوع بكسل، ثم أنزل الآخر وزررهما، وزرر ياقته وسوى ربطة عنقه الكحلية الحريرية، ومرر يداً في شعره الأسود الكثيف.. فعل كل هذا وهو يحدج ايريان بنظرة شاملة مثيرة للأعصاب.

ثم قال: «أظنك تتوقعين مني اعتذاراً».

نظرت إليه ببراءة وتساؤل، وكأن لا فكرة لديها عما يتحدث عنه. فومضت عيناه بالتسلية، وقال برقة:

ـ هيا الآن يا ثعلبتي الحمراء! أفضل ألا تبقي غاضبة مني.

قالت بجفاء: لست غاضبة منك.. فلا يحق لمن في مركزي أن يغضب.

ضحك ممرراً اصبعه على آثار الخدوش: «لم يمنعك ذلك من قبل».

ـ كان ذلك مختلفاً...

ـ أتعنين أنني كنت يومذاك المخطىء.. أما الآن فلا؟

همّت بالتكلم ولكنها عادت فأطبقت شفتيها، ووجهت إليه نظرة خضراء ساخطة، فضحك:

ـ إن كانت النظرات تقتل.. فأنا محظوظ لبقائي على قيد الحياة، عزيزتي ايريان.. أعتذر بصدق لأنني كنت.. ماذا كنت؟.. أجل.. لا أطاق.. كنت على حق عندما أوقفتني عند حدي بكل كفاءة كما فعلت.. فأنا أستحق ذلك، وسأحاول أن أبدل تصرفاتي. ما رأيك بهذا؟

قال كل هذا بوقار كامل.. ولكن كلامه بدا لإيريان صفاقة ساخرة.. فنسيت قرارها بألا تتحدث معه.. وردت بحدة:

ـ أتعرف؟ أنت لا تطاق، وصعب المراس.. لا تظن أنني خدعت بكلامك لحظة واحدة!

رد ببرود: «لم أعتقد أنك خدعت فعلاً.. لكنني آسف حقاً لأنني كنت كريهاً هكذا.. إنها عادة سيئة من عاداتي».

فكرت ايريان لحظة ثم قالت ساخطة: «ها أنت الآن تشعرني بأنني المخطئة».

تمتم والضحكة في عينيه:

ـ يبدو أننا على طرفي نقيض.. ولكنك تكلمتني مرة أخرى

www.liilas.com

على الأقل.

احتجت: «لم أتوقف عن التحدث إليك».

ذكرها: «لقد حاولت هذا لتوك.. ومنذ أعاد السيد ماكميهون الملف وأنت تعاملينني ببرود وأدب وهذا أسوأ من معاداتي».

فتحت فاها لتنكر، لكنها وجدت نفسها تبتسم خجلاً:

ـ حسناً.. كنت غاضبة منك.

ـ والآن نلت الصفح؟

ـ أجل! أتعرف؟ أنت تدهشني أحياناً حقاً.

ـ قلت لي هذا مرة.

تورد وجهها، فتابع:

ـ في الواقع.. أنت تدهشينني أيضاً.

ـ أنا؟

ـ أجل.

ـ كيف؟

ـ بالطريقة التي تعاملت بها مع.. الوحش.

ـ لم يمض على وجودي سوى أسبوع...

ـ ماذا يقال؟ تبدأ رحلة الألف ميل بخطوة واحدة.

ـ لا أفهم.

رد بوقار: «حسناً.. فلنوقف الأمر عند هذا.. أسبوع واحد طويل كاف لإقناعي بتحمل كراهية سكرتيرة.. الواقع أن ساعتين عادة تكفيانني».

قالت مقطوعة الأنفاس وهي تبحث في وجهه بعدم تصديق:

ـ ما زلت لا أفهم.

وقف ووضع سترته على كتفه:

ـ بالتأكيد ليست وكالة السفر التي هي هدفك النهائي.. لكنك تجدين هنا فرصاً للسفر.. والراتب مغر، إنه أفضل بكثير مما قد

تحصلين عليه في وكالة السفر، هذا على افتراض أن هناك فرصة فيها.. والواقع أن لا فرصة في الوقت الراهن.. فما رأيك؟

همست: «تقصد أنك تريد مني أن أكون سكرتيرتك الدائمة؟»

ـ فعلاً.. ولِمَ لا؟

ـ لا أشعر بأنني مؤهلة.. اعتقدت أن الأمر بحاجة إلى سنوات من الخبرة. ظننتني آخر شخص تريده.

رد مبتسماً ابتسامة صغيرة غريبة:

ـ أمر غريب، ما أريده بسيط جداً.. أنت قادرة على القيام بكل ما هو أساسي، والواضح أنك ترفضين من يتجاوزك وهذا لمصلحتك..

ـ إذن لماذا.. لماذا..

ـ لماذا أطلبك للعمل؟ أظنني ولدت وأنا أميل إلى التناقضات.. على الأرجح.

ـ لكن اختبالي ما يزال بطيئاً.

ـ التمرين كميل بحل المشكلة.

ـ هل.. كلمت الآنسة توماس بالأمر؟

ـ أجل، وكانت مستريحة.. ألا تريدين الوظيفة ايريان؟

أغمضت ايريان عينيها وتساءلت عما إذا كان عليها أن تقرص نفسها.. فهي تعلم أن ما يحدث ضربة حظ موفقة.. إن الوظيفة من وجهة النظر المالية والمعنوية رائعة من جميع الأوجه. إنها مرتبة إلى أعلى ومدخل إلى العصبة الصغيرة المختارة من الموظفات اللواتي تعجب بهن فتيات الطباعة من بعيد.. وقد تفتح لها هذه الوظيفة آفاقاً واسعة.. حسناً، إن هذا أمر لا يصدق! أيعقل أن تترقى بعد سنة واحدة؟.

فتحت عينيها فوجدت كيڤن تشايس يسبح في غشاء من دموع..

www.thaqafia.com

قالت يائسة: «اللعنة.. هاأنذا أعود مجدداً.. أتريد أن تغير رأيك؟»

ضحك ولامس خدها بخفة.

ـ أقلقتني لحظة.. لا.. لن أغير رأيي.

ثم نجهم ونظر إليها بفضول، وقال بسخرية:

ـ الواضح أنها خطوة كبيرة لك، فأرجو أن أكون عند حسن ظنك.

نفخت أنفها بمنديل:

ـ أجل.. إنها كذلك.

عاد للجلوس على المكتب وقال ببطء:

ـ يجب أن تعدي هذه الخطوة وثبة كبيرة فأنت ذكية.. أتريدين أن تخبريني لماذا بكيت؟

أبعدت المنديل مبتسمة:

ـ أنا.. أعتقد أن السبب هو خلفيتي العائلية.. فكل ما كنت مهيأة له حياة منزلية إنما ليس الجانب الحسن منها بل الجانب القاسي. أدعك أرض منزل أحدهم، أغسل حفاضات الأطفال وأطهو...

ـ في الغرب؟

ـ أجل.. كانت أمي مدبرة منزل محترفة ليس لأنها اختارتها مهنة بل لأن والدي مات تاركاً إياها مفلسة فاضطرت إلى العمل لإعالتي وكانت مدبرة منزل ماهرة. ولكنها لم تكن قوية لذا كنت أساعدها.. تنقلنا كثيراً.. من مزرعة إلى مزرعة..

ـ لماذا؟

هزت كتفيها:

ـ في الغرب سنوات مثمرة وسنوات قاحلة.. في بعض الأوقات تستطيع العائلات تحمل راتب مدبرة منزل وفي أخرى لا تستطيع.

هذا هو السبب الرئيسي لتنقلنا من مكان إلى آخر. ثم ماتت.. بعد موتها قررت عدم البقاء..

وصمتت وهي تنظر إلى يديها.

قال: «أكملي.. أم أخمن أنا؟ فجأة بدأت التفكير في عدم قضاء بقية حياتك على تلك الطريقة؟»

ـ أجل.. جئت إلى المدينة الكبيرة التي كانت ستكرهها أمي.

ـ ولماذا؟

ترددت ايريان، ثم قالت بصدق:

ـ أحببتها كثيراً.. ولكنها كانت سادحة رجعية العقلية مؤمنة. كانت تؤمن أن المدن مليئة بالأثم.. ولكني لا أعتقد أن في المدينة احتكاراً للخطيئة.

ران صمت قصير، ثم أضافت:

ـ أعني.. أن الناس ناس أينما كانوا..

ـ صحيح! هل تتذكرين والدك؟

ـ بشكل غامض فقط.. كان رأسي مواشي تعرض لحريق وقع في الأدغال.. ولكنني ما زلت احتفظ بكل كتبه. أحب القراءة وكان لديه صناديق كرتون مليئة بها، كنا نحملها معنا أينما حللنا. وكانت أمي تتذمر منها، وتهدد بحرقها، خاصة حين تجدني مختبئة أقرأ كتاباً.. لكنني أعتقد أنها كانت سعيدة حقاً لأنني ورثت عن أبي حبه للقراءة.

ـ هكذا جئت إلى المدينة مع كتب أبيك وأشياء أخرى؟

ـ أجل.. آلة الخياطة لأمي.. تعلمت دروساً في الطباعة وعملت في الخياطة فكان أن تخلصت من البذور والقش.. ولهذا السبب تراني مرتبكة الآن.. وأنا.. لا أعرف كيف أشكرك.

رفع كيڤن تشايس حاجبيه ضاحكاً:

ـ لا تشكريني.. أظن أن أساس علاقتنا متين لذا يجب ألا

www.liilas.com

نسمح لأي رقة شعور بتشويهها.. نلت الوظيفة.. صحيح؟

ردت متسعة العين إنما بسعادة: «صحيح».

ـ لماذا لا تخرجين للاحتفال بدل البكاء؟ ألديك صديق؟

ـ لا.. لكنني قد أقنع تشارلي بمكالمتي.. حين أبلغه عن هذا فسيتخلى عن صمته!

في تلك الليلة تمكنت بعدما هدأت من التفكير في حظها السعيد غير المعقول ووجدت أنها تفكر أكثر بكيفن تشابس نفسه.. إنه لمن الخطأ الحكم على الناس مسبقاً.. فتحت تلك الشخصية، المخيفة، المسيطرة، والمتوحشة أحياناً دفء ولطف يشوشان تفكيرها ويربكانها.

هل يعلمن؟ تقصد جميع أولئك الفتيات العاملات في قسم الطباعة.. لكن كيف لهن أن يعلمن؟ لم أكن أعلم.. لكنني لست مشهورة بنفاذ البصيرة..

قالت بصوت مرتفع لتشارلي البيغاء «أليس كذلك؟» ولكنه حافظ على صمته فهددته باستبداله بقطة إن لم يتكلم قريباً.. وضحكت على نفسها.. لأنها تكره القطط.

* * *

٣ ـ كاد يقتلها!

تسببت ترقية ايريان بثورة صغيرة، مع أن الآنسة توماس بدت غير متأثرة بها. إذ هنأت ايريان ولكنها علقت الأمر بالقول إن الوقت مبكر على هذه الترقية.

وجدت ايريان في سرها أنها توافق الآنسة توماس رأيها فالوقت مبكر فعلاً.. على الأقل، هذه هي الطريقة الوحيدة لوصف القلق والارتباك اللذين تشعر بهما.

جعلها اكتشافها بأنه يقيم علاقة مع امرأة متزوجة تعاني من الصدمة، وليس هذا فقط بل شوّش الأمر تفكيرها. تساءلت عما قصدته الآنسة توماس حين قالت إنه مرتبط، لأنه لم يبدُ أن عنده حبيبة معينة ولو كانت موجودة لعرفت هذا من المكالمات التي كانت تحولها إليه من وقت لآخر.

مر أسبوعان على تعيينها رسمياً.. واكتشفت أنهم لم يبالغوا عندما وصفوا أن السيدة هيودجز فاتنة فهي مديدة القامة نحيلة القد، أنيقة الملبس والهندام، ذات عينين ليلكيتين متألقتين. إنها ببساطة تجسيد للجمال الكلاسيكي.

لكن ثمة شيء آخر حول السيدة هيودجز لم تستطع ايريان وصفه، مع أنها حاولت، ففي هذه المرأة هالة معينة تجعل المرء يريد أن يركض أمامها ليفتح لها الأبواب وتجعله يريد أن يكون حامياً لها. أجل.. هذا هو الأمر.. مع أنه غريب.

www.liilas.com

كانت طريقة فتح الأبواب وإقفالها هي التي أفهمت ايربان ما يشعر به كيڤن تشايس تجاه هذه الغريبة الجميلة التي عرفت عن نفسها بأسم السيدة هيودجز، وقالت إن السيد تشايس بانتظارها.

قالت ايربان وهي تلقي نظرة سريعة إلى دفتر المواعيد:

ـ آه.. أجل سيدة هيودجز.. إنه بانتظارك. لقد ذكر لي الموعد منذ قليل.. سأدخلك.

قرعت الباب الداخلي، وفتحته متمتمة:

ـ السيدة هيودجز، سيد تشايس.

وقف كيڤن تشايس ولكن ما لفت انتباه ايربان هو ظهور نوع من التوتر على وجهه.

ثم دخلت المرأة إلى مكتبه وركضت قليلاً، وقبل أن تتاح لإيربان فرصة إقفال الباب كانت بين ذراعيه تنطق باسمه مراراً ومراراً.

رفرفت ايربان عينيها وأقفلت الباب بصمت، إنما ليس قبل أن ترى كيڤن يحني رأسه الأسود الشعر ليعانق السيدة هيودجز الغامضة.

تساءلت ايربان بينها وبين نفسها. ماذا لدينا هنا؟ ثم عادت إلى مكتبها ببطء فقرأت الملاحظة التي دونها في دفتر المواعيد والتي تقول لا مقاطعة أبداً.. ربما تكون أخته؟ ولكنني لا أعتقد أن الأخ وأخته يتعانقان على هذا النحو.

كانت صوفيا هي التي أوضحت لها الغموض، فقد حملت شاي العصر في تمام الثالثة والنصف.. في الوقت الذي كان السيد تشايس والسيدة هيودجز يغادران المكتب، وبعدما أبلغها رئيسها أنه لن يعود اليوم.

قالت مقطوعة الأنفاس: «عجباً.. ! لقد عادت من جديد!»

ـ ما هي؟

ـ علاقة السيد تشايس بديكسي هيودجز.

فكرت ايربان لحظة: «أهي أرملة؟»

صبت لها صوفيا الشاي، وسكبت شيئاً منه خارج الفنجان بسبب لهفتها:

ـ اللعنة!.. لا، ليست أرملة. قصتهما قصة حزينة تتقطر لها القلوب.. كانا حبيبين منذ الطفولة.. ثم تشاجرا، وسافر السيد تشايس إلى ما وراء البحار.. وعندما عاد، كانت ديكسي قد تزوجت من بولدن هيودجز الذي كان أكبر منها بسنوات وهو نذل حقيقي بكل ما في الكلمة من معنى. كان ثرياً بالتأكيد، ولكن لم يمر وقت طويل حتى أدركت أنها لا تزال تحب كيڤن.. أليست قصة محزنة؟

ـ صحيح.. ولكنها ليست صعبة الحل.

ـ لن يتركها! أعني بولدن هيودجز!

ـ لكن.. كيف له..

ثم سألت بدافع الفضول: «كيف عرفت بكل هذا صوفيا؟»

ـ عملت عمتي في المطعم هنا وبهذه الطريقة حصلت على الوظيفة.. إنما ابتدأ هذا كله في عهد والد السيد تشايس أي قبل أن أعمل هنا.. كانت عمتي تقول إن المرأة الوحيدة التي أحبها السيد كيڤن، تزوجت رجلاً آخر.

نظرت ايربان إلى صوفيا مستغربة: «إنه لأمر مربك».

ـ وقد يزداد إرباكاً.

ـ كيف؟

ـ لا أظن أن بولدن هيودجز معجب بزوجته.. تعرفين كيف!

ـ ربما هما لا..

وندمت على تعليقها لأنه قاد صوفيا إلى المزيد من فضح الأسرار، إذ همست:

www.liilas.com

ـ أظنهما فعلا «ذلك» مرة أو مرتين.. ولكنها جميلة، فهل تلومينه؟ ويقال إن بولدن استردها بقوة السلاح!

ـ أوه..

ـ كانت عمتي تقول إن هذا قد يكون صحيحاً.. فهي كانت تعرف الكثير عما كان يجري إذ عرفت السيد كيڤن وهو صبي صغير. على فكرة.. إنها..

قاطعتها ايريان بحزم: «صوفيا.. لا أظن أن من الملائم التباحث في هذه.. الأمور الشخصية».

لكن صوفيا ضحكت: «يعرف الجميع هذه القصة».

ـ أما أنا فلم أكن أعرفها.

ـ ربما أنت الوحيدة ايريان.. أترين، حين يكون المرء ثرياً وشهيراً يعجز عن إخفاء أسرار حياته.. وبولدن هيودجز شهير جداً.. أليس كذلك؟

كان على ايريان أن تعترف بهذا فقد سمعت عنه كثيراً فهو قطب في عالم المناجم وصاحب جياد السباق، وصاحب اليخوت، هذا عدا أشياء أخرى.

أضافت صوفيا بحبور:

ـ على أي حال، من الأفضل أن تعرفي بالأمر بدل أن تصطدمي به.. فأنت سكرتيرته الخاصة الآن.. الأفضل الآن أن أذهب، فلا بد أن السيد ماكميهون يموت شوقاً إلى شاي العصر.. أراك فيما بعد.

ودفعت العربة أمامها لتخرج من المكتب.

في اليوم التالي وجدت أنها لا تزال تتساءل عما كشفته صوفيا أمامها.. ربما لأن الأمر برأيها يبدو بعيد الاحتمال. سلاح وزواج مفروض بالقوة.

سألها كيڤن تشايس بشيء من التجهم:

ـ هلا قلت لي لماذا تنظرين إليّ هكذا ايريان؟

انتفضت ايريان وخرجت من أفكارها.. كانت جالسة قباله يملي عليها بعض الأمور. نظرت إليه باستغراب.

ـ لا سبب. كيف كنت أنظر إليك؟

ـ وكأنك لم تريني من ذي قبل هذا عدا أشياء أخرى.

ابتسمت: «هذا جنون».

ـ إذن لقد جننت بلا شك.

ـ لا أقصد هذا.

ـ إذن كنت أتخيل الأشياء.. لأنني أقسم أنك كنت تتأملينني بنظرة ناقدة، مقوّمة، وكأنك تنظرين إلى ظاهرة غريبة.

تورد وجه ايريان: «أنا.. أنا.. كنت أفكر في شيء آخر.. ربما كنت أحلم».

ـ فيم؟

ـ لا أذكر.

وقف فجأة ينظر إليها متأملاً:

ـ حسناً إن كنت لا تريدين إخباري، فلا بأس.. ولكنني قادر على التكهن. هل اطلعت مؤخراً على شؤوني القلبية يا ثعلبتي الحمراء؟

لم تستطع منعَ التورد من اجتياح وجنتيها فبرقت عيناه وسأل بحدة: «من كان يتكلم؟»

سحبت نفساً عميقاً:

ـ لا أستطيع إخبارك ولكنني لم أشجع ذاك الشخص على الحديث، فليس الأمر شأناً من شؤوني فاطمئن إلى أن الأقاويل لن تلقي مني أذناً صاغية.

صمتت كتيبة لسببين.. أولاً لأنها بدت بكلامها مغرورة.. والثاني لأنها نظرت إلى نفسها فجأة نظرة سخيفة.

قال كيڤن تشايس بجفاء وبشيء من السخرية:

www.liilas.com

ـ هذا إخلاص شديد منك آنسة هارت.. أعتقد أنك اتخذت قراراً في ما إذا كنت ذلك النذل الذي وصفوه لك أم العكس؟

فكرت قليلاً: «في الواقع أنني أظن أن الأمر نتاج شخص خصب المخيلة».

ابتسمت قليلاً: «وبما أنك استطلعت على هذا مني، فمن الأفضل أن أعترف أنني شككت في معظم ما سمعت».

نظر إليها بإمعان ثم قال ما فاجأها:

ـ ترددت في إنكار صحة ما تقولين ايريان.. لكن، ثمة شائعات تؤكد أن هناك دراما كبيرة.. وأخشى أن أعترف أنني وبولدن هيودجز نتبادل الكراهية.

نظرت إليه فاغرة فاها، ثم قالت بعدم ارتياح:

ـ أنت لا.. حقاً لا تريد أن.. أعني، لا شأن لي سيد تشايس.

ضحك فجأة: «حسناً. حذرتك مسبقاً».

استوعبت ايريان هذا ببطء.. ثم قالت دهشة:

ـ أتعني أنه قد يأتي إلى مكتبك حاملاً بندقية؟

قال ضاحكاً: يا إلهي! أسمعت بهذا أيضاً؟

ـ أنا.. حسناً.. هل هذا غير صحيح؟

ـ وما رأيك؟

فتحت فمها لترد ثم سكتت لأنها لا تدري فعلاً ما رأيها في الموضوع. هل بإمكان كيڤن تشايس انتزاع زوجة أحد و.. العبث معها وهي متزوجة؟ أم أن السيدة هيودجز لم تكن بحاجة إلى «الانتزاع»؟ على أي حال، ليس هذا شيئاً غير عادي كثيراً.. رفعت بصرها فرأته يراقبها بحذر فتوردت وجنتاها وتمتمت شيئاً غير مفهوم دفعه إلى الابتسام والقول:

ـ أتمنى ألا يصدمك ما سمعت كثيراً ايريان لأنني بذلت جهدي لأكون عند حسن ظنك بي.

تنحنحت وازداد تورد وجنتيها.. وفي الوقت ذاته تساءلت عما إذا كان يصعب التعامل مع كيڤن تشايس في مثل هذا المزاج أكثر مما يصعب وهو غاضب، وجدت أنها تتمنى لو تفهمه بشكل أفضل، إذ يبدو لها أن من الأفضل أن تعرف ما هي الحقيقة.. ثم عضت على شفتها وأدركت أنه ينتظر ردها.

قالت باحتشام شديد:

ـ أبداً.

تمتم وفي صوته ضحكة مجلجلة.

ـ لكنني أرى العكس.

احتجت بغضب: «غير صحيح، قلت لك إن لا شأن لي في هذا، وأتمنى ألا تسخر مني هكذا. إن كان هناك من هو مضطر لتحمل توقعات مستحيلة.. فهو أنا!»

ـ آه.. ولكنك مخطئة في هذا يا ثعلبتي الحمراء! فأنت السكرتيرة الأولى التي أعتذر منها، كما أنك المرأة الأولى التي كادت تقتلع عيني بأظافرها.

قاطعته بحرارة: «إن ظننت أنني فخورة بما فعلت فقد أخطأت.. اسمع، هلا أمليت عليّ ما تريد؟».

تبادلا النظرات، نظراتها ملؤه التمرد ونظراته بعيدة كل البعد عن الضحك.

أخيراً قال بهدوء شديد: «من كان؟».

ـ من كان من؟

ـ من الذي أخافك حتى الموت مرة؟

ـ كيف تعـ..

وصمتت فجأة فأضاف:

ـ لم أصدق قط قصة الباص الذي كاد يدوسك.

أطرقت تنظر إلى يديها، ثم نظرت إليه وكأنها لا تراه فأردف:

www.liilas.com

ـ إذن . . كان هناك شخص ما؟

لن ترد لأنها لن تستطيع .

أخيراً قال باتزان :

ـ حسناً . أنا آسف . . أترين ، ها قد عدت للاعتذار . . آنسة هارت . . أين كنت؟

نظرت إليه بعجز قبل أن تنظر إلى الدفتر .

ـ آه . . إم . . ميزانية سنوية مقدرة .

مز شهر .

لم ترتكب فيه ايريان أخطاء كثيرة فشعرت بأنها لم تعد تعيش على حافة كارثة ، وأقنعت نفسها : أنا أؤمن حقاً أنني تخلصت من أحداث الأيام الأولى . عبست ضاحكة ، وهي تعقد أصابعها تفاؤلاً طوال الوقت .

ثم حدث ما لم يكن في الحسبان . .

كان ذلك مساء يوم جمعة وكانت تهم بمغادرة عملها عندما تساقط مطر غزير بلل المدينة . . كان المطر غزيراً جداً بحيث لم تكد تقطع مسافة قصيرة حتى تبللت وشهقت من قوة المطر . لاحت غمامة سوداء ضخمة فوق الرؤوس وتحول نور النهار إلى عتمة شديدة ، ودوى الرعد وبرق البرق ممزقاً عباب السماء .

ارتجفت ايريان وهي تكبح نفسها بالقوة تجنباً لإظهار خوفها من البرق والرعب . اندفعت بشكل متهور غبي وعدت في الشارع وصولاً إلى مقهى تعرفه تلوذ إليه حتى تمضي العاصفة .

بدا الشارع خالياً ولكن فجأة ظهرت سيارة رمادية أنيقة من كاراج المؤسسة تحت الأرض . . وقبل أن تستطيع التفكير أو التراجع ، اصطدمت مقدمتها بساقيها فرمتها في القناة .

سمعت صرير إطارات وصفق باب ثم وقف كبقن تشابس منحنياً فوقها يلعن غاضباً . . فكرت : أعرف هذه اللعنات أينما

كانت، وحاولت الجلوس.

ولكن: يبدو أنه لم يعرفها. إذ بعد دقيقة أو أكثر أبدى فيها رأيه بمن يقطع الشارع مخالفاً أنوار المرور وسط عاصفة لعينة توقف وصاح دهشاً:

- ايربان!

- أجل.. أجل.. هذه أنا.. أنا آسفة.

ركع قرب الفتاة إلى جانب الطريق، وقد تبلل الآن مثلها وتجمع جماعة من الناس الفضوليين.

سألها بحدة: «هل أنت بخير؟»

ردت مرتعشة: «أظن هذا».

لكنها علمت أنها ليست بخير لأنها لم تستطع التوقف عن الارتعاش.. ربما من الصدمة أو من كاحلها الذي التوى.

قال غاضباً: «لا.. لست بخير أيتها الحمقاء الصغيرة».

قال صوت من بين الحشد الصغير المتحلق حولها.

- مهلك يا رجل.. كدت تقتلها!

رد كيڤن باختصار: «حسناً. لكنني لم أقتلها».

ساعدته عدة أيد على نقلها إلى سيارته، وانطلق بها..

فهمست:

- إلى.. إلى أين نحن ذاهبان؟

- إلى المستشفى.. لا تتكلمي.

صاحت: «لا.. لا.. أنا واثقة أنني لست بحاجة إلى مستشفى.. أظنني لويت كاحلي.. أرجوك.. لا أحتاج إلى..».

- سآخذك مهما قلت.. استرخي إذا استطعت يا ثعلبتي الحمراء!

خضعت لأنها شعرت فعلاً بالسقم والألم، ولكن التفكير في طريقة لإبعاده عنها أشعرها بمزيد من السقم.

قالت: «لست مضطراً إلى ملازمتي.. يمكنني أن أستقل تاكسياً إلى منزلي.. ثم، لا أظن حقاً أن في الأمر ما هو خطير».

توقفا عند إشارة المرور. التفت كيڤن تشايس ينظر إليها وقال بصوت هامس رقيق:

ـ أنت شخص عنيد ايريان هارت.. لكنني أشعر بالانزعاج بسبب ما أصابك، لذا سأبقى حتى يعاينوك معاينة كاملة وبعد ذلك أصطحبك إلى منزلك، إن وافقوا على هذا.. لذا لا تقولي شيئاً لأنك لن تمنعيني مهما فعلت. مفهوم؟

ابتلعت ريقها وانحدرت دموع غبية على خديها:

ـ لم تكن غلطتك.

ـ هذا صحيح.. لكن..

ـ إذن لا تكن منزعجاً.

ـ أؤكد لك أن المرء يشعر بالانزعاج والضيق بعدما يصرخ شاتماً في وجه شخص آخر مصاب!

ـ لكن..

ـ هلا صمتي آنسة هارت؟

وضحك ثم أنطلق بالسيارة لأن الضوء في إشارة المرور قد تغير ولكن قبل أن يتحركا أمسك إحدى يديها وضغط عليها برفق.

وكانت حركته مريحة.. بشكل غريب.

بعد بضع ساعات، كان كيڤن تشايس ينظر إلى غرفتها مبتسماً ويقول: «إنها تناسبك».

ـ أنا هاوية ديكور.

ـ إذن لقد قمت بعمل جيد كونك هاوية.. حسناً.. من هم هؤلاء الذين يجب أن أتصل بهم؟

قالت بلهفة من السرير حيث وضعها بحذر بعد حملها:

ـ أوه.. أوه.. سأفعل هذا بنفسي.

www.liilas.com

كان كاحلها مضمداً بشدة وبدت كدمة زرقاء على خدها، هذا عدا كدمات وخدوش أخرى. ولكنها حسب قول الطبيب في المستشفى لا تعاني إلا من صدمة خفيفة.

تمتم كيڤن تشايس وهو ينظر حوله مجدداً:

ـ حسناً.. لكنني لا أرى كيف، فلا هاتف لديك.. هل هو في المطبخ؟

تورد وجهها: «لا، ولكن..».

دنا من السرير ليجلس قربها، وسألها متجهماً:

ـ ايريان.. هل كذبت ونحن في المستشفى؟

عضت شفتها، وأشاحت وجهها بعيداً، لكنه أمسك ذقنها، وقال بإصرار: «أخبريني».

همست: «سأكون.. سأكون على ما يرام.. قالوا إنني على ما يرام تقريباً».

قاطعها: «قالوا إنهم سيتركونك إن كان لديك من يعتني بك، لأنك لن تتمكني من السير على كاحلك أياماً ولأنك تحتاجين إلى الراحة الكاملة لتتغلبي على الصدمة، وقلت إن هناك من يعتني بك.. فلماذا كذبت؟ لا أحد لديك.. أليس كذلك؟»

ـ أجل.. هناك! هذا المنزل يعج بالناس! أترى، أنه مقسم إلى أربعة شقق وهذا يعني أن فيه دائماً شخصاً ما.

ترك ذقنها وبدا لطيفاً:

ـ إذن اذكري أسماءهم لأقرع باب أحدهم.

ـ لا أعرف أسماءهم.. لكن..

تحولت كلماتها المليئة بالارتباك إلى صمت، وأشاحت بوجهها بعيداً لأنه كان يحدق إليها بمزيج من نفاد الصبر والشفقة.

قال بهدوء: «تقصدين أنه منزل يعج بالغرباء.. لِمَ يعج عالمك بالغرباء.. لِمَ؟»

فتحت ايريان فمها ثم أغمضت عينيها، وقالت بهدوء:

ـ لماذا؟ لأنني أريده هكذا.. إنما لا داعي لتأسف عليّ. الواقع أنني أتمنى لو تتركني بمفردي الآن.. أستطيع تدبر أمر نفسي بواسطة هذا العكاز الذي أعطوني إياه.

ـ لا.. لا أستطيع هذا.. يجب أن أجد حلاً.

نهض وخرج.. ولكنه عاد بعد عشر دقائق برفقة امرأة فائقة الجمال شابة مثلها، وقال:

ـ تسكن السيدة مارشنت في الغرفة المجاورة ايريان.. وقد تطوعت لرعايتك ومساعدتك.. هذه ايريان هارت سيدة مارشنت.

قالت الفتاة بسرعة: «ناديني ميري.. أقيم في الغرفة المجاورة منذ شهر تقريباً. أردت التعرف إليك ولكنك تفضلين صحبة نفسك على ما يبدو.. وظننت أن طفلتي قد تزعجك، ربما.. فهي تبكي ليلاً.. وأنا آسفة».

نظرت ايريان إليها، وقالت:

ـ أجل.. أعني لا.. سمعت بكاءها، لكنه لم يزعجني.

قالت ميري مارشنت بلهفة:

ـ عظيم! أنت في ورطة.. إنما لا تأبهي، سأساعدك.

التفتت إلى كيڤن:

ـ سأرعاها وإن احتجت إلى شيء اتصلت بك. ثمة هاتف عمومي في أسفل الطريق.

قال كيڤن وهو ينظر مباشرة إلى ايريان:

ـ اتفقنا إذن. إن احتجت شيئاً، فلا تترددي بالاتصال.. عمت مساء، ثعلبتي الحمراء.

وترك الغرفة دون أن ينتظر الرد.

قالت ميري مارشنت مترددة:

ـ يا له من رجل رائع! ليت عندي رئيس مثله.. لكنني الآن لا

www.liilas.com

أعمل.

سحبت نفساً عميقاً وقالت على عجل:

ـ الواقع أنني لست السيدة مارشنت لأنني غير متزوجة.. ظننت أن هذا سيخدعك قليلاً.. فمن الواضح أن لا زوج لي.. بعض الناس.. بعض الناس.

صمتت وهي تنظر إلى ايربان بقلق.. فقالت لها وهي تمسح الدموع عن عينيها الخضراوين.

ـ لا.. أنا لست منهم ميري.. مسرورة بالتعرف إليك، الواقع أنني عشت بمفردي مدة طويلة، وعلى ما يبدو أنني فقدت القدرة على الاختلاط بالناس.

حلّ يوم الأحد فشعرت ايربان بأنها أفضل حالاً.. أمضت معظم فترة العصر خارج السرير تتمكز على العكازين ولكن ما إن حلت الساعة الخامسة حتى أمرتها ميري مارشنت بالعودة إلى الفراش، وجلبت الطفلة إليها حتى تتمكن من الخروج لشراء الحليب والخبز.

وجدها كيفن تشابس مستندة إلى وسائدها المطرزة، وطفلة ميري على ذراعها. في الواقع أنها كانت تحاول دفع الطفلة للابتسام ولكنها لم تنجح. رفعت وجهاً رقيقاً ضاحكاً عندما سمعت قرعة على الباب:

ـ ادخل.

رفع حاجبيه قائلاً:

ـ حسناً! تبدين فعلاً أفضل حالاً.

انتفضت ايربان لأنها توقعت أن تكون السيدة مارشنت هي القادمة.

ـ أنت!

أقفل الباب وراءه:

ـ أجل. وأعتقد أنها الطفلة التي تبكي في الليل؟

ـ أجل.. لم أكن أتوقعك. أعني ما كنت مضطراً للمجيء.

ـ هذا ما أفهمتنيه بوضوح ولكنني أقوم أحياناً بعكس ما يطلبه مني الناس. ظننتك اكتشفت هذا.

نظر حوله، ثم أدار الكرسي القصب ليواجه السرير، وجلس فيه وكأنه في منزله. كان يرتدي سروالاً أبيض اللون وقميصاً رياضياً أزرق. بدا شعره الأسود أشعث بفعل عبث الريح.. ووجدت ايريان أنها تفكر في أنها المرة الأولى التي تراه في لباس غير رسمي، ولكنه يبدو الآن أضخم حجماً وأصغر سناً.

تكلما في آن واحد: «أنا..».

ـ كيف..

قال تأدباً: «أكملي أنت».

احمر وجهها وحاولت الجلوس: «لا.. لم يكن شيئاً مهماً».

قال يميل إلى الأمام:

ـ هاك.. اسمحي لي.

أخذ الطفلة منها وحملها بين ذراعيه ثم جلس قبالتها وكأنما رعاية الأطفال شيء يفعله يومياً. في الواقع أن الطفلة نظرت إليه بعينين متسائلتين، ثم ابتسمت ابتسامة رائعة فكشفت ابتسامتها عن ثغر ودود رائع خال من الأسنان.

تأثرت ايريان وقالت بشيء من السخط:

ـ لم تبتسم لي.

قال بعفوية: «لدي طريقة خاصة مع الأطفال».

ـ وكيف؟

رد ضاحكاً: «واجهت مأزقاً في يوم ما. لقد رزقت شقيقتي بتوأم. وفيما كنت أزورها. تلقت اتصالاً أن ابنها الأكبر، الذي يحب التنس، وقع وكسر ذراعه.. فتركت كل شيء قائلة: كيفن

أنت المسؤول فمكثت ساعتين معهما حتى اكتشفت مفتاح الحل.. يد ثابتة لطيفة، وصوت حازم.. قرأت لهما بصوت مرتفع نسخة قديمة من صحيفة شارع المال «وول ستريت».. زوج أختي برايان خبير مالي.. وما أذهلني أن ذلك جعلهما ينامان.

قالت وقد رأت معالم الجد في وجهه:

ـ أنت.. أنت تسخر مني.

لكنها وجدت صعوبة في عدم الضحك فقال:

ـ أبداً.. انظري.

أذهلها أن ترى الطفلة تهم بالإغفاء بسلام، مع أنها حسب قول أمها لا تنام أبداً بعد الظهر.

قالت بمرح: «أستغرب لأن إحداهن لم تستطع حتى الآن جرّك إلى مذبح الكنيسة بسبب قدراتك الأبوية، إن لم يكن بسبب شيء آخر».

ـ لا أظنني زوجاً صالحاً.. بطريقة ما.

ـ أبداً؟

ـ أجد صعوبة في إيجاد السكرتيرات فهل تتصورين كم هو عسير عليّ أن أجد زوجة.

ـ خاصة وعواطفك مرتبطة سلفاً.

هل قلت هذا؟ أغمضت ايريان عينيها وقد اجتاحت وجنتيها نوبة إحراج. لقد انسلت منها الكلمات كصدى لأفكارها التي كانت تصور لها ديكسي هيودجز.

فتحت عينيها فرأته ينظر إليها عابساً وظل أسود يظلم عينيه الزرقاوين.. هل من الغضب؟

همست: «أنا آسفة.. ما كان عليّ أن أقول هذا».

ـ ولِمَ لا..؟ ما قلته لسوء الحظ صحيح.

ارتعشت من صوته القاسي، وسألت مرتبكة:

www.liilas.com

- ألا يمكنها.. أعني.. ما دمتما متحابين فلِمَ لا تطلب الطلاق؟

- عندما يكون المرء من أسرة كاسيدي، لا يتراجع عن كلمته.

فغرت ايريان فمها:

- هل هي.. من أسرة كاسيدي؟ السيدة هيودجز؟

- أجل.. ألا تعرفين ذلك؟

- لا.

قال ساخراً: «يبدو أنك تعرفين معظم الأشياء الأخرى».

بدأت تقول باندفاع:

- هذا فقط بسبب..

ولكنها انتفضت داخلياً وأجبرت نفسها على تغيير دفّة الحديث:

- كنت أظن أن أسرة كاسيدي انقرضت كما انقرض ملف ماكنتوش!

ترددت لأن مزاحها لم يلقَ آذاناً صاغية، ووجدت أنها تشعر بالذنب والقلق.. ثم قالت:

- أنا آسفة، لم أقصد أن أكون لجوجة.. المسألة أن رؤيتك هنا مع الطفلة..

نظرت إليه لترى ما إذا فهم ما تعنيه.. فقال:

- لكنني هكذا.

هزت كتفيها:

- أعني أنك لا تبدو رئيسي.. ولا أعتقد أن هذا أمر منطقي.

قال كيڤن تشايس بعد فترة صمت:

- لكنه منطقي.. ومن المؤسف أنك لن تسمحي لي برد الاطراء.

- لا أفهم.

- حسناً! فلنوقف الأمر عند هذا الحد. لست فقط سكرتيرتي،

ولست إنساناً آلياً، أنت إنسانة عادية حية ترزق.. مع أنك مدمنة برتقال.. ومع أنك تميلين أحياناً إلى التسبب بالحوادث، لكنك مثلي تعانين من بعض المشاكل.

لم يقطع الصمت الذي ران شيء. ثم انفتح الباب ودخلت ميري:

- آسفة على تأخري ولكنني لم أجد الخبز في الدكان القريب فاضطررت.. آه! سيد تشايس! يا إلهي! الطفلة نائمة.

قال كيڤن مبتسماً ابتسامة فاترة:

- أظنها على وشك الاستيقاظ طالبة وجبة طعامها، وأخشى ألا أكون مضطلعاً على مثل هذه الأمور.

ضحكت ميري وهي تأخذ الطفلة منه.. فسألها:

- ما اسمها؟ على فكرة.. تشبهك كثيراً.

- اسمها ألين.. أتشبهني فعلاً؟

- بكل تأكيد.

- ظننتها تشبه..

صمتت، ثم هزت كتفيها وأكملت بحبور:

- على أي حال، سأحملها الآن لأطعمها، وأتركك كما لتتحادثا.. اقرع الباب عليّ عندما تخرج لأحضر لإيريان طعام العشاء.. إلى اللقاء.

أغلق كيڤن الباب وراءها وقال متجهماً:

- أظنها أماً غير متزوجة.

- أجل.. لقد تخلى الأب عنها.. ولكنها متأكدة من قدرتها على الاستمرار هكذا..

- ألا تظنينها قادرة؟

- بلى.. أظنها قادرة.. لكنني لا أحسدها على وضعها.

- عندما دخلت شعرت بأنك تحسدينها.. فقد بدوت مختلفة،

www.liilas.com

حية، محبة.

ـ هذا ما يفعله الأطفال بالإنسان.

ـ هل سبق أن أشرفت على طفل؟

نظرت إليه مستغربة: «ما الذي دفعك إلى هذا السؤال؟»

ـ لا أدري..

تقدم إلى قفص تشارلي ووقف ينظر إلى الطير ويداه في جيبي سرواله.

ـ أعتقد أنني أفكر دون دراية مسبقة.. وهذا ما تتميزين به عليّ.. أترغبين في القهوة؟

ـ لقد نفد البن.

ـ آه.. أحضرت بناً إضافة إلى أشياء أخرى هدية المريض. للقهوة ميزات طبية.. أليس كذلك؟

عندما عاد من المطبخ قدم لها فنجان القهوة، وجلس مرة أخرى:

ـ في صحتك يا ثعلبتي الحمراء! نسيت أن أسألك كيف حالك..؟ جسدياً أعني.

ـ أفضل حالاً.. وقد أتمكن من العودة إلى العمل غداً إن لم يكن لديك مانع.

ـ بل أمانع بالتأكيد.

ـ أوه؟ لماذا؟

ـ لأنني أمضيت وقتاً طويلاً أشرح سبب غيابك، ولن أستطيع لوم قطتي التي لا وجود لها هذه المرة.. أيمكن؟

ـ أنا.. سيارتك التي داستني.

ـ وهذا ما يجعلنا متساويين. مع ذلك، أشعر أنني الطرف البريء في الحالتين.. لا ترميني بالقهوة عزيزتي.

نظرت إلى عينيه الضاحكتين، ثم إلى الفنجان الذي رفعته، ولم

تستطع إلا إخفاضه وإطلاق ضحكة.

ـ أنت.. أنت.. لا تطاق.

ـ لا.. لست كما تقولين.

ـ حسناً.. مجنون قليلاً إذن. لم أعرف أن الرؤساء هكذا.

ـ مجانين؟

ـ بل في غاية اللطف.

وبدا عليها الارتباك فصمتت.

ـ لن تردي عليّ على ما أعتقد.

لم تتظاهر بعدم الفهم.

ـ ليس لدي مشاكل في الواقع.. تنتابني بعض الذكريات فقط بين الفينة والفينة، ولكنني أعتقد أن الوقوع في الحب أمر مميز جداً.. وأن لا بد من وجود حل.. لك.

ـ يبدو لي هذا شاعرياً.

هزت كتفيها:

ـ ربما.. إذ لا يبدو أن هذا يحدث دائماً.. أعني الوقوع في الحب.

سأل بهدوء: «وهل تتكلمين عن خبرة؟».

ـ أتكلم عن رؤيتكما معاً للحظة أو لحظتين قبل أن أقفل الباب.

ـ ربما تكون المظاهر خادعة.

تبادلا النظرات. نظراته هادئة ونظراتها مضطربة.. ثم وضعت الفنجان من يدها:

ـ ربما.. أترى، أنت متردد في الكلام عن الموضوع مثلي تماماً..

ـ حسناً. هذا اعتراف بخلل ما بيننا.

تمتمت: «لو كنت في المستشفى لأخرجوك من غرفتي بسبب إزعاجي».

www.liilas.com

ـ أنا أفعل هذا بشكل سري في المستشفيات.

ابتسمت: «أنا واثقة من هذا.. ثم لا أظن أن هناك من أخرجك من مكان ما في حياتك».

ـ وأنت؟

ـ مرة واحدة وكان ذلك أفضل ما حصل لي.

ـ لا أتصورك تسرقين الفضيات.

ـ كان شيئاً أثمن بكثير.. أتعرف، أشعر أنني فعلاً أفضل حالاً.. لذا أستطيع العودة إلى العمل غداً، وإلا فكيف ستدبر أمورك؟

ـ لن أحاول حتى.

رفعت عينيها إلى السماء: «هذا ما خشيته».

ضحك: «لا.. استريحي بضعة أيام.. وسأحاول ألا أفسد ما نظمته والآن عليّ الذهاب».

ارتشف آخر ما في فنجانه من قهوة ووقف:

ـ على فكرة، أردت أن أسألك من هو تشارلي؟

ضحكت: «إنه طيري الذي يرفض الكلام».

ـ أوه! فهمت.. ربما لا تعلمينه الكلمات المناسبة؟

ـ بلى أفعل.. لكنه عنيد.

قال ببراءة: «أستغرب ممن ورث عناده».

ثم انحنى ليلثم وجنتها تحت الكدمة مباشرة فدهشت.

ـ تحسني آنسة هارت.. فأنا أحتاج إليك!

وخرج تاركاً ايريان فاغرة فاها متوردة وفي عينيها الخضراوين نظرة غريبة ووجدتها ميري جالسة هكذا بعد وقت لا بأس به، وسألتها ما خطتها.. فردت بذهول:

ـ لا شيء.. أترغبين في القهوة؟

حضرتا معاً البيض للعشاء، ثم لعبتا الورق حتى حان وقت

النوم.. قبل أن تتركها ميري، جلست على طرف السرير، وانفجرت فجأة بالبكاء، فقالت ايريان برقة:

ـ ما بالك؟

فأخبرتها ميري إن والد ألين لم يتخل عنها فقط، بل رفض والداها استقبالها وهي حامل. مع أنها كانت الابنة الوحيدة وقرة عين أبيها، الرجل القوي جداً، المسيطر.. عندما اكتشف مشكلة ابنته، اتهمها بأنها دمرت حياتها بيدها وبأنها باعت نفسها رخيصة.

بكت ميري: «لم أستطع تحمل اتهاماته.. كان غاضباً وخائب الأمل.. كنت كلما نظرت إليه أعرف بماذا يفكر فلم أستطع البقاء عنده ومضى الأمر على هذا المنوال عدة أشهر.. أخيراً تركت منزله قبل أن ألد، وكان لدي مال ادخرته سابقاً ثم تقدمت لتساعدني الدولة.. عندما ولدت ألين، كتبت رسالة لأمي.. ولكنه لم يسمح لها بالمجيء لرؤية الطفلة أو لرؤيتي.. ما زلت أراسلها لأنني أعرف أنها تعيش معه أوقاتاً عصيبة.. انه.. عرفت انه قاس إنما ليس إلى هذه الدرجة».

لم تقل ايريان شيئاً فجلستا طويلاً والحزن يخيم عليهما.. أخيراً تخلصت ميري من حزنها وابتسمت كعادتها وقالت:

ـ كنت بحاجة إلى البوح بسري أمام أحد، وأشعر أنني أفضل حالاً بكثير.. شكراً لك.

تركتها لتنام، وأخذت ايريان تفكر بميري.. ثم عادت إلى الأفكار التي كانت تراودها قبل انضمام ميري إليها.

أطفأت النور، واستلقت في الظلمة تتساءل عن كيفن تشابس وديكسي هيودجز.. أأخطأت الظن عندما اعتقدت أنه يحب زوجة بولدن هيودجز الجميلة؟ ترى كم من شائعات صوفيا صحيح؟

لكن لماذا يهمني هذا؟ فأمرهما لا يعنيني.. آه.. يا إلهي! هل أصبحت صوفيا أخرى؟ هل أصبحت أرى أن الشمس تشرق له فقط؟

www.liilas.com

صحيح أن صوفيا لا يهمها أمر ديكسي هيودجز كثيراً.. لكنني.. أبدو مهتمة.. وأنا أيضاً مهتمة لأنه لن يحصل عليها.. إن هذا غريب.. أراني على وشك أن أصبح من أولئك السكرتيرات المخلصات جداً. من كان يظن هذا؟ الإخلاص لكيڤن نشايس!

* * *

٤ ـ أكرهك أيضاً!

عادت ايريان إلى العمل بعد ثلاثة أيام. وكانت قد أخفت كدماتها الظاهرة بلصوق تجميلي، الأمر الذي بدا لها ساخراً. لم تجد المكتب ويا للغرابة في فوضى عارمة ولكنها اكتشفت فيما بعد أن الآنسة توماس أخذت بزمام الأمور.

كان كاحلها ما زال متورماً قليلاً، ولكنها أصبحت قادرة على التحرك بدون عكازين.

بدا لها واضحاً أن رئيسها في مزاج غير رائق، مع أنه استقبلها ضاحكاً.. ففي عمق عينيه الزرقاوين شيء ما، ومبض لمشاعر مكبوتة.. بدا مختلفاً عن كيڤن الذي زارها فهو يرتدي بدلة رمادية قاتمة وقميصاً رمادياً فاتحاً مع ربطة عنقه الحريرية الحمراء الدكناء.

اكتشفت أن تغييراً مميزاً قد وقع خلال غيابها، لم يكن تغييراً في واقع الحال، بل كان إضافة إلى إرث ماكمبهون، كاسيدي، ونشايس في شخص ناثانيال ماكمبهون ابن فيلمور.. هكذا عرف عن نفسه لإيريان بعد دخوله إلى مكتبها في الصباح.

ردت ايريان بأدب: «كيف حالك؟»

ـ جيد.. شكراً لك. على فكرة ينادونني نات.

ونظر ناثانيال إليها كما ينظر خبير المواشي إلى مهرة، مع أن عمره لا يتجاوز الثامنة والعشرين. كان نحيلاً جداً وطويلاً، أشقر، زرقي العينين، ملابسه مفصلة بدقة وفخامة..

www.liilas.com

تابع بعدما ترك يدها:

ـ إذن.. أنت السيدة الغامضة.

بدت الدهشة على ايريان:

ـ لا يحدق بي الغموض سيد ماكميهون.. كنت مريضة وحسب.

ـ أرجو منك أن تناديني نات. وسمعت كذلك أنك ذات طبع حاد وعليّ الاعتراف بأنني أحب النساء الناريات الطبع خاصة ذوات الشعر الأصهب الجميل والعيون الخضراء هذا دون ذكر..

حدث شيئان في آن واحد ففي اللحظة التي همت ايريان بالجلوس فيها وراء مكتبها انفتح الباب الداخلي.

قال كيڤن وهو يدخل:

ـ حسناً نات.. أرى أنك قدمت نفسك إلى سكرتيرتي.

ـ أجل كيڤن.. كنت أقول لها إن أحدهم أخبرني أنها ذات طبع ناري.. وعليّ الاعتراف بأن بينكما بلا ريب أوقات نشيطة.

نظر كيڤن إلى ايريان ضيق العينين، فعضت على شفتها، متسائلة كيف فعلت ما فعلت.. أو ما إذا كان سيسمح لها الناس بالنسيان.. في الوقت نفسه فكرت في السيد ماكميهون الكبير بسوء نية لأنه بدون ريب من أطلع ابنه على هذه المعلومات.

ولكن يبدو أن رئيسها لم يكن على استعداد للتعليق على طبعها الحاد، لأنه قال:

ـ أكنت تبحث عني نات؟

ـ أكنت أبحث عنك؟ لا أذكر.. أجل! من المفترض أن أعرف شيئاً عن دوري في العملية..

في صوته سخرية ولاحظت ايريان النظرات التي تبادلها الرجلان فعلمت أنهما يكرهان بعضهما بعضاً.

لكن كيڤن قال:

ـ إذن، سأصحبك إلى مورفي برايت، نائبي الذي قد يجد عملاً كثيراً لك.

في المطعم انقسمت الآراء ذلك اليوم.. إذ اعتقدت بعض الفتيات أن ابن فيلمور ماكميهون ورقة رابحة فيما قالت الأخريات إنه بهي الطلعة وسيم.. لكن..

ثم برزت عدة نقاط مميزة عنه، قيل إنه كان يدير فرعاً للشركة في الغرب، وإنه استطاع بيع كمية هائلة يكاد يبلغ سعرها المليوني دولار وإنهم نقلوه إلى هنا إما من أجل المضي قدماً في عمل الشركة وإما من أجل تعطيل عمل مدافع كيڤن تشايس! على أي حال، هو وريث فيلمور ماكميهون الوحيد.

قالت صوفيا وقت الشاي وهي تخفض صوتها بغموض:

ـ احزري ماذا ايريان؟

رفعت ايريان رأسها متوقعة المزيد من الثرثرات عن نات ماكميهون.

ـ ماذا؟

ـ تنتظر ديكسي هيودجز مولوداً.

ـ هل أنت واثقة؟

ـ بالتأكيد.. عرفت الخبر من الصحيفة.. لقد دخلت إلى المستشفى لإجراء فحوصات.. وعلى ما يبدو أن بولدن هيودجز اضطر لإعلان النبأ رسمياً.

أغمضت ايريان عينيها لحظة قصيرة، فيما أضافت صوفيا:

ـ عليّ الإعتراف بأنه تقبل الموضوع جيداً، أليس كذلك؟

لا.. ليس كذلك. هذا هو السبب إذن...

سألت صوفيا: «لكن ماذا أصابك؟ سألت السيد تشايس فقال إنك تعرضت لحادث بسيط».

ـ هذا صحيح.

www.liilas.com

أخفضت صوفيا صوتها مجدداً:

ـ احذري من السيد ماكميهون الجديد.. إنه كأبيه ولكن الأب العجوز طيب.. حقاً.. أليس كذلك؟

ولم تنتظر الرد. لكن تحذيرها لم يكن سدى.. فمع أن نات ماكميهون أصبح تحت إشراف السيد برايت، إلا أنه دأب على زيارة مكتب ايريان لسبب أو لغير سبب. في الواقع، أصبحت زياراته مثاراً للأقاويل في الطابق الثاني.

لم تعامله ايريان بفظاظة ولم تفقد معه السيطرة على طبعها الناري ووجدت من الصعوبة أن توصل إليه أنها تجد عينيه البنيتين الدافئتين، كريهتين، وأن تعليقاته التي لا تنتهي، غير مرحب بها.. وأن رغبته المقرفة في ملامستها تثير في نفسها الغثيان.

نصحت نفسها: حافظي على هدوئك وبرودك، وتجاهليه بكل بساطة متى كان هذا ممكناً.. فسيفهم الرسالة عاجلاً أم آجلاً..

لم يخطر ببالها أن كيڤن تشايس يعرف بما يجري حتى عاد يوماً من الغداء فوجد نات جالساً على مكتبها فأمره بالخروج بحدة..

قال نات معترضاً:

ـ إنما جئت لأحمل إليك هذه الأرقام، كيڤن!

ـ وكم من الوقت تحتاج لإيصال بضع أوراق؟ ومنذ متى تعمل مراسلاً؟

ـ أنا ذاهب.. أنا ذاهب.

ـ أقفل الباب وراءك!

ارتدّ كيڤن إليها فقالت بسرعة:

ـ أنا.. إنه..

قاطعها ببرود:

ـ لو كنت مكانك لما شجعته، فهو آخر من يناسب فتاة مثلك.

شهقت: «لم أكن..».

ـ ألم تكوني جالسة هنا تصغين إليه مستمتعة بإطرائه بأن بلوزتك تماثل لون عينيك وبأنك جميلة؟ لقد سمعت هذا!

ـ لا.. لم أكن هكذا..! أقصد لم أكن أستمتع.. ثم ماذا تعني بفتاة مثلي؟

قال بنفاد صبر:

ـ أوه.. تعرفين بالضبط قصدي.

صاحت: «لا.. لا أعرف.. تصورني وكأنني فتاة تركع أمام أي رجل يطربها!»

ـ لم أقصد هذا، بل قصدت لفتاة تألمت.. لم أرك تصدينه!

نظرت ايريان إليه عاجزة عن النطق غاضبة ثم قالت بحدة:

ـ اسمع.. أنا أصده بأفضل طريقة أعرفها.. أحاول تجاهله والبقاء هادئة.. فماذا تريد مني أن أفعل غير هذا؟

رد ساخراً: «حاولي اقتلاع عينيه بأظافرك.. وأنا أضمن لك أنه سيفهم الرسالة هكذا».

ودخل إلى مكتبه كالعاصفة صافقاً الباب وراءه، تاركاً ايريان متوردة الوجه، غاضبة. همست لنفسها أكرهك كيڤن تشايس، ثم أجهشت بالبكاء.

انفتح الباب الداخلي، وقال لها وهو يسند كتفه إلى إطار الباب:

ـ شعرت بأنك تبكين.

همست مجدداً: «أكرهك».

حاولت عبثاً منع تدفق الدموع.

لم يقل شيئاً لحظات.. بل وقف يراقب كتفيها النحيلين وهما تنتفضان.. ثم تقدم يجلس على المكتب.

ـ خذي.

أدارت وجهها غضباً فرأته يمد لها منديلاً:

www.liilas.com

- لدي منديلي في مكان ما.

لكنها فتشت في جيبي تنورتها على غير طائل، فقال محذراً:

- سأفعل هذا بنفسي بعد لحظة.

عرفت أنه قادر على مسح عينيها وأنفها، فانتزعت المنديل وقامت بالعمل، ثم كورت المنديل ووضعته في جيبها وتمتمت من بين أنفاسها:

- ستبقى بدون منديل هذا اليوم.

- أستحق هذا.. أليس كذلك؟

صرّت على أسنانها، ثم هددت:

- إن تجرأت على الضحك مني فسأخرج من هنا، ولن أعود ثانية.. لم أكن أشجعه بل الواقع أنني أشمئز منه.. ولكنه من أسرة ماكميهون.

التوت شفتا كيڤن تشايس، لكنه امتنع عن الضحك، وقال:

- وأنا من أسرة تشايس.

نظرت إليه وبعض الدموع ما تزال في عينيها.

- وما شأن هذا بهذا؟

ما إن قالت هذه الكلمات حتى أدركت أنها وقعت في فخ، فقد برقت عيناه بخبث، وقال:

- حسناً.. لم تسمحي لاسمي بإخافتك ومنذ قليل قلت إنك تكرهينني.

فتحت فمها ثم أغلقته، فما يقوله منطقي. تورد وجهها، ونظرت بعيداً عنه وقالت بضعف:

- نحن.. يبدو أننا نعرف بعضنا بعضاً جيداً.

رد بجفاء: ايريان، ليس لنات أية صفة رسمية.. إنه هنا ليتعلم أسرار العمل لا لتحويل حياة فتاة إلى بؤس.. قولي له أن يغرب عن وجهك بلا تردد، وإن سبب لك المتاعب أخبريني. يا عزيزتي لم

يكن عليك أن تتحملي منه مثل هذا الهراء.

فكرت في ما قاله، ثم رفعت ذقنها، وابتسمت:

- أنت على حق.. ظننت أنني أعامله كما تعامله أية سكرتيرة ناضجة بطريقة ناجحة مؤدبة.. أنا آسفة.

قال والبسمة في عينيه:

- لو أردت سكرتيرة ناضجة مؤدبة لأحضرت واحدة.. لذا يا ليته عليك لا تحاولي تغيير نفسك.. كيف حال ميري؟ والطفلة؟

- إنهما بخير الطفلة تجلس الآن.

- وهل تقابلينها كثيراً؟

- أجل.. أبقيها معي غالباً في العطل.. وهذا ما يمنح ميري فرصة راحة. وأحياناً نخرج كلنا.. حملناها إلى الحديقة العامة يوم الأحد. فهي تحب النزهات ويجب أن أشكرك لأنك عرفتني إلى ميري.

تراقصت عيناه:

- أمهليني بعض الوقت تجدي أنني أصبح شخصاً أفضل.

- ماذا تعني؟

- قد أعرفك إلى شاب لطيف!

في الأسبوعين التاليين لم تتح لها الفرصة لتطلب من ناتاليا ماكميهون أن يغرب عن وجهها.. لأنه توقف عن إزعاجها من تلقاء نفسه.. بل الواقع أنه راح يتجاهلها على غير عادته.. ربما أوصل كيڤن له الرسالة جيداً ذلك اليوم.. أو ربما قال له شيئاً فيما بعد.

أما بالنسبة لكيڤن تشايس نفسه، فقد بدا لها أنه يعيش ويعمل بسرعة فائقة.. لاحظت صورته في الصفحات الاجتماعية عدة مرات، برفقة نساء مختلفات.. وها هو الميلاد يقترب.

لكنها مع ذلك كانت تتلقى مخابرات له، من نساء غامضات، أكثر مما كان يتلقاه سابقاً. بعد تمرير بضع مكالمات تلقت درساً خاصاً بطريقة قاسية.

www.liilas.com

سألها يوماً بعد مكالمة من هذا النوع، وقد دخل إلى مكتبها مكفهر الوجه غاضباً:

ـ ايريان، علام تقبضين أجرك؟

ـ لا أعرف ما تعني.

ـ أعني.. هلا توقفت عن تمرير هذه المخابرات الخاصة لي.. اللعنة! أنا مشغول جداً على تلقيها.

ـ وما.. ماذا أقول؟

ـ أي شيء.. لا أهتم.. اخترعي شيئاً. لا شك أنك قادرة على التفكير في حجة، هذا إن كنت مهتمة بأن تصبحي سكرتيرة ناضجة ذات تجربة.

صدمها ظلم ما قاله، فتاقت إلى القول له أنت تستغل هؤلاء النسوة لمساعدتك على نسيان ديكسي هيودجز التي هي الآن أكثر ارتباطاً بزوجها.

لكنها لم تقل شيئاً لسببين: الأول لأنها أقسمت ألا تذكر الأمر مرة أخرى أو تعلق عليه بشيء بعد صراحتها التي لا تغتفر عن الأمر.. والثاني لأنه لم يمنحها الفرصة لتقول شيئاً.

ـ قولي لهن إنني مسافر إلى آخر أقاصي أرض «بوركى»!

وعاد إلى مكتبه صافقاً الباب خلفه.

تنهدت ايريان.. أيها الباب المسكين.. ثم أدركت أنها رغم ما يظهره رئيسها من أعراض التكبر، واللامنطق لم تجد الشجاعة في قلبها لتكون غاضبة منه أو متألمة.. فكرت في هذا لفترة ثم وجدت مرة أخرى أنها تهتم فعلياً بكيفن تشابس، ولا تستطيع فعل شيء إزاء ذلك.

أما في عدا ذلك فكانت تعيش حياة مسالمة خاصة، كانت تفكر في هذه الحياة حين أجفلها جرس هاتف المكتب الداخلي، انتظرت لحظات ثم حملت إليه بعض التلكسات التي وصلت حديثاً.

كان ممدداً إلى الخلف في كرسيه معمض العينين، ولم يتحرك لدخولها.. بدت ربطة عنقه محلولة، وياقة قميصه غير مزررة. وظهر على وجهه الألم. وضعت الأوراق على مكتبه ثم سارت ببطء فأسدلت الستائر لتحجب أشعة الشمس البراقة.. ثم قصدت حمامه، وعادت بحبتي أسبرين وكوب ماء.

وقفت قربه، وهمست: «سيد تشابس».

فتح عينيه، وحدق إليها لحظة، ثم جلس ليتناول الأسبرين

ـ كيف عرفت؟

وعاد ليستند إلى الخلف.

ـ كانت والدتي تعاني من صداع نصفي أحياناً.

قال بصعوبة:

ـ نصفي.. يا للوصف الدقيق.

ـ لماذا لا تذهب إلى البيت؟ أنت.. أظن أنك كنت تحاول القيام بعمل كثير جداً

لوت ابتسامة صغيرة شفتيه:

ـ تبدين كأم حقيقية.. ايريان.. لكن ربما أنت على حق.

ـ يمكنني إلغاء كل شيء اليوم.

ارتفع جفناه المثقلان، ونظر إليها بصمت:

ـ يعجبني فستانك.

ـ شكراً.. إنه جديد.

إنهما قطعتان من الثياب متماثلتان حتى بدتا واحداً.. بلوزة وتنورة طويلة من القطن العاجي حول الياقة وعلى أسفل التنورة تطريز أخضر فاتح. أما على وسطها فثمة حزام عريض أخضر يظهر نحول خصرها.

نظر إليها ثم قال:

ـ أتعرفين ما أود فعلاً أن أفعله؟ أود أن أذهب إلى مكان ما على

www.liilas.com

الشاطىء حيث أختبىء شهراً.. أترغبين في مرافقتي؟

ـ ولماذا لا تذهب ولو لأيام؟

ـ أيعني هذا نعم أم لا؟

ارتجفت شفتاها.. وقالت بوقار:

ـ لا.. أنت بحاجة إلى هدوء كامل من أجل صداعك النصفي.. على أي حال، من سيهتم بالأمور الصغيرة والكبيرة إن اختفينا معاً؟

سألها بفظاظة: «لماذا أشعر بك تسايرينني فقط ايريان؟ خلتني أصدمك بهذه الدعوة».

ـ بتّ غير قابلة للصدمات. لقد أعطاني العمل عندك مناعة.. ولكن لماذا لا تذهب إلى بيتك؟ لن أترك المكان يتفكك في غيابك أعدك.

استوى جالساً ومرر يداً متعبة في شعره.. انتظرت حابسة الأنفاس تشعر بأن هناك طلسماً يصعب تفكيك أسراره، ثم فجأة شعرت بصدمة مؤلمة، إنه شعور بالحنان نحوه.. تحركت بقلق في الوقت الذي قال فيه:

ـ حسناً. سأذهب. بعدما تأكدت من براعتك كسكرتيرة خاصة خبيرة سأعمل بنصيحتك.

مد يده إلى سترته، ورماها فوق ذراعه، لكنه وقف لحظة ويداه في جيبيه. ثم تحرك حول الطاولة إلى حيث تقف:

ـ أنت جميلة أيضاً يا ثعلبتي الحمراء.. أراك غداً.

تبعته ايريان بنظراتها وفي عينيها ارتباك غريب.

سببت مسألة احتفال الشركة بعيد الميلاد لإيريان بعض الارتباك فقد تلقى كل موظف في الشركة دعوة لشخصين إلى حفلة عشاء راقصة تقام في مطعم الشركة، وكان من واجب صوفيا أن تجمع الردود التي من المفترض أن تكون قبل أربعة أيام من الموعد. بحثت

ايريان أمر الحفلة مع ميري التي أصبحت مهتمة بكل ما يجري في الشركة، وعبّرت لها عن ترددها في الذهاب، فقالت ميري مصدومة:

ـ بل عليك أن تذهبي!

ـ مع من؟ هذه هي المشكلة.

ـ وما المشكلة إن لم يكن معك شريك؟

ـ أفضل ألا أكون مجرد مشاهدة.

ـ لن تكوني مشاهدة أبداً إذ لن يسمح السيد تشابس بهذا!

كانت ميري تدهش ايريان أحياناً بنظرتها الساذجة إلى الحياة. من يراها يظن أنها بعد تجربتها المريرة ستكون مثال المرارة والسخرية..

لكن صوفيا هي التي قررت في النهاية:

ـ ألن تأتي؟ آه! لا تستطيعين التغيب.. إلا إذا كنت تموتين!

وابتسمت ايريان فأضافت صوفيا:

ـ يحب السيد ماكميهون أن يحضر الجميع إلى الحفلة.

قالت ايريان بصدق:

ـ الأمر صوفيا.. أنه ليس لدي شريك.

ـ أوه.. هذا غير مهم فلن تأتي الكثيرات منا برفقة شريك.. ولست مضطرة إلى المجيء بصحبة أحدهم فذلك أفضل، إلا إذا كنت تريدين أن تسرقه منك إحدى السافلات العاملات هنا..

وبدا على وجه صوفيا الجميل نظرة ألم سريعة، فسألتها ايريان:

ـ هل سيرافقك أحدهم هذه السنة صوفيا؟

ردت صوفيا بعد لحظة تفكير:

ـ أجل.. وبإمكانك الجلوس معنا.. أعني.. لست مضطرة، لكن..

ـ سأحب هذا كثيراً.

www.liilas.com

كانت العقبة الثانية الثياب، فماذا ترتدي للحفلة؟ ولم يكن هذا الأمر مشكلتها وحدها بل مشكلة الكثيرات من الفتيات. قالت ايريان لميري إنها ستشتري فستاناً بسيطاً فخاب أمل الأخيرة. ولكن ما اشترته كان فستاناً رائعاً واسعاً قسمه العلوي نحاسي اللون.

قالت ميري وهي تدور حولها منتقدة:

ـ ألم تقولي إنك ستشترين شيئاً بسيطاً!

ـ لكنه بسيط.. أليس كذلك؟

ـ إنه أكثر الفساتين أناقة. من كان يظن أن لون النحاس والذهب يتماشيان بهذا الجمال؟ أو سيليقان بك! الثوب يزيد من لون عينيك الأخضر.. أتعرفين ما تحتاجين إليه؟ ولك هذه العنق الرائعة، ضعي رباطاً مخملياً حول عنقك مع حجر كريم منقوش..

ـ ليس لدي حجر كريم منقوش.

ـ سنجد لك شيئاً.. وماذا عن الحذاء؟

ـ اشتريت واحداً.

وكشفت عن حذاء عالي الكعبين برونزي اللون.

صاحت ميري: «إنه مناسب فعلاً عرفت أنك ستكونين جميلة الحفلة..».

ـ إنما ليس لدي رغبة في أن أكون جميلة الحفلة.

لكن مع اقتراب الموعد، وجدت أنها تتطلع إليها بشيء من التخوف..

بعد ظهر يوم الحفلة قال لها كيڤن:

ـ هل أنت قادمة الليلة يا ثعلبتي الحمراء؟

أجابت:

ـ لا أموت.. لذلك يجب أن أحضر.

نظر إليها ضاحكاً: «ماذا تعنين بكلامك هذا؟»

قالت بسرعة:

ـ لا شيء.

ـ إذن، لماذا لا تأخذين راحة بعد الظهر؟

ـ آه، لا حاجة بي إلى الراحة.. شكراً على أي حال.

ـ لكنك ستأخذين عطلة يا آنسة هارت.. فأنت تستحقينها وأنا آمرك بهذا.

ـ لكن..

ـ ايريان.

ردت بأدب: «سيد تشايس؟ لكنني نظمت كل شيء.. حقاً!»

ـ لم أعرف قط امرأة منظمة فيما يختص بالاستعداد لمناسبة رسمية.. الآن هل تذهبين أم آخذك بنفسي إلى بيتك؟

ـ أنا.. أنا ذاهبة.

* * *

أبدت ميري فرحتها عندما رأت ايريان تعود باكراً، فهي بدون علم ايريان خططت لتعتني بوجهها ويديها وشعرها عناية خاصة..

قالت مبتسمة ابتسامة مشرقة:

ـ الآن ستتمكن من فعل كل شيء كما يجب.

أجلستا أليز في منتصف الغرفة، وبدأتا العمل.. حين تراجعت فجأة إلى الخلف مخفية ابتسامتها بوسادة كانت خلفها التقطتها ايريان وهددتها وميري تعمل في شعرها.

ـ أرجو ألا أخيف الطفلة بهذا المسحوق الذي على وجهي.

قالت ميري تحذرها: «لا تضحكي.. فستشقق!»

ـ أرجو ألا يتشقق وجهي.

* * *

عندما أطلق التاكسي زموره قالت ميري:

ـ تبدين رائعة..

www.liilas.com

ركزت لها الرباط المخملي الذي وضعته لها حول عنقها مع قطعة من الذهب الزائف. سرحت لها شعرها الذي أطلقته على كتفيها في خصلات ملتفة.

بللت ايريان شفتيها المطليتين بلون مشمشي ينسجم مع لون أظافرها.

ـ هل أنت واثقة؟ أحس أننا بالغنا في الزينة.

تمتمت ميري: «لا.. أبداً.. تبدين صغيرة وأنيقة في الوقت نفسه.. أنت جميلة.. الآن.. عديني أن تستمتعي؟»

ـ أعدك.. شكراً.

وعانقتها بحرارة.

أكان كيڤن تشايس على علم أم أن آل ماكميهون فاجأوه بها؟ ثم أليست جميلة خلابة حتى في حملها؟ جميلة ومصممة على ردم الهوة كما يبدو.. أو على الأقل إيقاف الأمور على ما هي ولو لليلة واحدة. لماذا دعيت إلى الحفلة؟ لأنها من آل كاسيدي بالتأكيد. أتراها شريكة من بعيد؟ لا شك أنها ورثت أسهماً كثيرة في الشركة عن والدها. على أي حال إنها تأتي إلى حفلات الشركة دوماً. ولكن من الغريب دعوة بولدن هيودجز إلى حفلة يحضرها كيڤن تشايس.. ثم هل رأيتهما يتصافحان..؟

نعم لقد رأت ايريان كل شيء، ووجدت أن في الأمر كله ما هو غير حقيقي، ربما له شأن بألوان العديد من الفساتين والبذلات الرسمية.

بدت الآنسة توماس رائعة في فستان كحلي جميل مثبتة عليه باقة ورد صغيرة. قالت لها صوفيا عندما رأتها:

ـ ايريان.. تبدين مذهلة.. من أين أشتريت هذا الفستان؟

نظرت ايريان إلى صديق صوفيا ذي الابتسامة الخلابة والأذنين الكبيرتين وردت له التحية.

ورأت كيڤن تشايس أنيقاً وسيماً في بزة السهرة الرسمية التي بدت أنها اللباس المتوقع من قبل أفراد مجلس الإدارة.

ورأت ديكسي هيودجز تصل مرتدية فستاناً براقاً أزرق اللون لا يظهر حملها، ويخسف كل ما عداه من فساتين في الحفلة.. استقبلها فيلمور ماكميهون مع زوجته الطويلة العبوس بالترحاب.. واصطنع ناثانيال ماكميهون جلبة كبيرة حولها، وعانقها بجرأة رافعاً حاجبيه مستغرباً وجود بولدن هيودجز الذي لم يكن شاباً أو جميل الطلعة بل «فخماً» بطريقة ما.

لكن ما كان ينتظره الجميع حقاً، انقلب إلى مفرقعة نارية مبللة. فقد تحركت ديكسي هيودجز نحو كيڤن تشايس مبتسمة فتبادلا النظرات برهة.. ثم لانت عيناه وقال لها شيئاً جعل من ابتسامتها المحطمة للقلوب، ابتسامة حقيقية وبعد ذلك وقفا يتحدثان بشكل عادي بضعة دقائق.

همست صوفيا في أذن ايريان:

ـ أوه.. ما أشد افتخاري به! لا أدري إن أخبره أحدهم بقدومها. هل أخبروه؟

ـ لا أدري.

لكنني فخورة به كذلك.

على عكس توقعاتها، كانت ايريان مطلوبة جداً.. ليس فقط ممن طلبها للرقص بعد انتهاء العشاء، بل من قبل العديد من الناس الذين توقفوا أمام طاولة صوفيا ليتحدثوا إليها. تحولت السهرة تدريجياً إلى متعة حقيقية لها..

كان كيڤن تشايس قد راقص أربع نسوة فقط.. وبهذا أحبط قلوب الفتيات الراغبات في مراقصته.

رقص أولاً مع صوفيا، فنظرت السيدة ماكميهون من فوق أنفها الارستقراطي غير مصدقة وكانت برفقة بولدن هيودجز يراقصها..

www.liilas.com

ورقص فيلمور مع ديكسي.. الفرحة التي عمت قلب صوفيا بسبب مراقصته إياها جعلتها لا تعي ارتفاع الحواجب.. وعرفت ايريان أن صوفيا ستتغنى بهذا الشرف حتى آخر العمر، وبعد ذلك طلب ايريان للرقص.

قالت وهو يسحبها بين ذراعيه:

ـ كان هذا ألطف ما فعلته.

بدت عليه الدهشة: «تعجبني صوفياه.

ـ أعرف، فهي الشخص الوحيد الذي لا تغضب منه أبداً.

ـ أنا.. ليس ذلك إنصافاً لها.

ـ أعرف.. إذ لا ينصفها الجميع.

ـ ليست الغلطة غلطتها.

ـ لا.

رقصا بصمت فترة. ثم أبعدها عنه قليلاً ليحدجها بنظرة شاملة من قمة رأسها إلى أخمص قدميها.

ـ تبدين جميلة جداً الليلة.. ايريان. فستان جديد؟

ـ أجل.. جديد جداً.

ـ تبدين.. تذكرينني..

صمت وتابع خطوات الرقص متفرساً فيها متقداً: تأمل عنقها النحيلة المزينة بالشريط المخملي البني، وبالفراشة الذهبية وتأمل كتفيها الشاحبتين الرقيقتين، ووجهها البيضاوي الصغير الناظر إليه بترقب. ثم اعترف مكشراً:

ـ لا أدري.. تذكرينني بسيدة غامضة.. هل تستمتعين؟

ـ آه! أجل.. وأنت..

ـ أنا أستمتع بمراقصتك فأنت بارعة فيه.

ـ كنت أشارك في كل حفل رقص قروي في طول البلاد وعرضها حتى قبل أن أتمكن من المشي.. كانت أمي تحب الرقص. إنه

المتعة الوحيدة التي كانت تسمح لنفسها بها.

ـ حتى بعد موت والدك؟

ـ أجل.. حفلات الرقص الريفية هكذا.. يحضرها جميع الأطفال والجدات والجدود.

ـ إذن أنت عتيقة في مثل هذا؟

ابتسمت: «لن أقول هذا بالضبط».

السيدتان الأخريتان اللتان راقصهما كيفن تشايس كانتا الآنسة توماس والسيدة ماكميهون التي بدت غير موافقة عليه حتى منتصف رقصهما إذ تساهلت وسمعت تضحك لشيء قاله.

قالت الآنسة توماس وهي تتوقف قرب طاولة صوفيا:

ـ يسحر السيد تشايس الحجر.

ردت ايريان: «هذا ما لاحظته».

ارتدت الآنسة توماس إليها:

ـ أرى أنك غيرت رأيك به آنسة هارت.

ـ آه! لا.. أنت على حق.. لقد غيرت رأيي به.

ـ حسناً.. إنها فرصة جيدة لأهنئك إذن ايريان.. هل لي أن أناديك باسمك؟ لقد قمت بعمل ماهر وأعرف أنه راض عنك. لقد قال لي ذلك اليوم إنه عرف بوجود مركز شاغر في وكالة السفر، وإنه قد يخسرك.

ـ أقال هذا حقاً؟

ـ بكل تأكيد!

أحست ايريان بأنها تضحك فسألتها الآنسة توماس مستغربة:

ـ ألم يذكر الأمر لك؟

ـ بلى.. ولكنه.. يحب ممازحتي كثيراً.

بعد ذلك ازدادت البهجة في الحفل، وكانت هذه البهجة هي المسؤولة عن المزاج المرح الذي وجدت ايريان نفسها فيه..

www.liilas.com

عندما انتصف الليل شعرت بأن معنوياتها تضعف فجأة، والسبب رحيل الزوجين هيودجز.

لاحظت ايريان كيف حصل هذا بالصدفة.. كانت قد حذرت نفسها بألا تمضي السهرة بالنظر إليهم بفضول.. مع أنها لم تستطع أن تمنع نفسها كلياً.. ولكنها كانت بمفردها على الطاولة حين توقف الزوجان فجأة أمامها، وقال بولدن لزوجته: «تبدين متعبة».

شاهدتها ايريان تنتهد، ثم سمعتها تقول:

ـ هذا صحيح.. هل نذهب الآن؟

لكن ما خطف أنفاس ايريان هي نظرة القلق التي ظهرت في عيني بولدن هيودجز.

ـ لماذا لم تخبريني؟

واقتادها بعيداً.

فكرت ايريان فاغرة فاها: إنه يحبها.. حقاً يحبها.. لهذا لا يتركها.. فما رأته ليس شيئاً ملموساً تُلزم به أحداً.. ربما تحبهما معاً؟ أيعقل ذلك؟ أو ربما هي ممزقة بين الاثنين؟

بعد خمس دقائق غادر الزوجان بأقل جلبة ممكنة وكان كيڤن تشايس ينظر إلى الباب بعينين قاتمتين ثم أدار وجهه عامداً متعمداً، والتقط كوب شرابه.

ساعتئذ قررت ايريان مغادرة الحفلة. حاولت صوفيا إقناعها بالبقاء ولكنها رفضت، وتسللت إلى الخارج تنوي الاتصال بتاكسي من بهو المطعم الخارجي الذي كان هادئاً ومظلماً.

أعلمها الموظف في شركة التاكسيات أن السيارة قادمة بعد عشر دقائق، فكان أن انتظرت خمس دقائق في الداخل، ثم اتجهت إلى الممر باتجاه المصعد. اختار لسوء حظها نات ماكميهون تلك اللحظة لمغادرة الحفلة فتبعها وربت على كتفها فكادت تموت رعباً.

ـ رائع رائع.. ألست الآنسة هارت؟ هل الحفلة نافهة لك أيضاً؟

سرت رعشة ارتباك في ظهر ايريان ولكنها قالت بحزم:

ـ لا.. أنا متعبة فقط.. هذا كل شيء.

ـ فلتقل إنك متعبة من التصرف بأفضل تصرف.. إنه الشيء ذاته. الآن.. لماذا لا نذهب إلى مكان آخر؟ أعرف أمكنة أكثر حيوية آنسة هارت حيث لا يتنفس أبي وأمي فوق رأسينا وحيث لا يزج كيڤن تشايس أنفه.

ونظر إليها بوقاحة.. وصل المصعد، فقالت ايريان:

ـ لا.. شكراً لك.

ترددت قليلاً قبل الدخول إلى المصعد.. فلحق بها وانغلق الباب وراءهما.

تمتم لها: تعرفين أنه لا يقدر على إملاء إرادته عليك بعد ساعات العمل.. ايريان.. يا له من اسم جميل.. سيأتي اليوم الذي لن يستطيع فيه أن يملي عليّ إرادته.

وتحرك المصعد نزولاً فوضع يده على جداره يثبت نفسه. لم تقل ايريان شيئاً بل نظرت إلى الأرض.

ضحك نات ماكميهون:

ـ يا إلهي.. إنك سكرتيرة مخلصة.

وصل المصعد إلى الطابق السفلي فخرجا منه إلى البهو الرئيسي المهجور الصامت.. مد يده يقبض على معصمها.

ـ أتعرفين؟ لقد تساءلت كثيراً عن السبب الذي جعل كيڤن يبعدني عنك، فبدا لي أنه اتخذك له.. ولكنك تعرفين أن لا مستقبل لك في هذا.. ليس مع كيڤن.. أما..

ارتفعت يد ايريان الحرة ولطمته لطمة موجعة وهمست:

ـ أيها النذل.. أيها المعتوه المنحط الصغير!

www.ulias.com

لكن بعد شهقة الدهشة بدأ يضحك.. وقال مبتهجاً: «إذن كان أبي على حق!».

ولكن نبرته تغيرت وبدأ يشتم شتائم قذرة ثم شدها إلى ذراعيه، وأحنى رأسه بنوي تقبيلها.

قالت من بين أنفاسها «لا!» ثم حاولت تجنبه..

ـ لِمَ لا؟ إذا كان كيڤن يحصل على قبلة فلم لا أحصل على واحدة. اجمدي بالله عليك!

لكنها بدأت تقاتله بضراوة مستخدمة قبضتيها وأظافرها وكعب حذائها.. باغته عنف هجومها، فترنح وسقط إلى الخلف حيث ارتطم بقوة بالأرض الرخامية.

لكن، بدا أنها لم تنته منه لأنها رفعت حقيبتها بغية تسديد ضربات قوية شرسة إلى رأسه.. فجأة صاح بها شخص من الخلف بقسوة:

ـ ايربان!

www.liilas.com

***

٥ ـ لن تحصل عليه أبداً

كان كيڤن تشايس.

أقفل باب المصعد خلفه فأسبلت ايريان ذراعها سرت رعشة في جسمها لم تستطع السيطرة عليها. أسرع كيڤن إليها وألقى نظرة على شعرها المبعثر ووجهها الممتقع ثم ارتدّ إلى نات ماكميهون، ليقول من بين أسنانه:

ـ عليّ أن أضربك نات.. وقد أضربك حقاً.. هيا اذهب من هنا.

فتح نات فمه ولكنه أقفله بحكمة وكان ينظر إلى ايريان نظرة عدم تصديق. بعد ذلك ارتد على عقبيه متعثراً.

ارتدّ كيڤن إلى ايريان ولف ذراعه حولها.. ولكنها ذعرت، وارتجفت، وابتعدت.

ـ لا بأس عليك.. ايريان.. هذا أنا.

نظرت إليه.. ثم غشيت الدموع بصرها، فاستندت إليه هامسة:

ـ أنا آسفة.. آه.. يا إلهي!

وأجهشت بالبكاء على كتفه.

نادى صوت غريب نافد الصبر من باب البهو:

ـ تاكسي!

شهقت ايريان تحاول تحرير نفسها:

ـ هذا.. هذا لي!

ولكنه لم يتركها، بل أخرج بعض المال من جيبه ونقد سائق التاكسي الأجرة ثم قال له:

ـ وقع بعض الالتباس.. أنا آسف.

نظر السائق إلى المبلغ وحياه قائلاً بسعادة:

ـ يحدث هذا طوال الوقت.

اعترضت ايريان: «لكن.. لكن.. يجب أن أذهب إلى المنزل».

قال كيڤن بوقار وذراعه لا تفارق كتفيها:

ـ سأتدبر الأمر.. لدي فكرة لذا أرجو منك ألا تجادلي؟

صحبها إلى شقته.. شقة تقع في الطابق الأخير من مبنى سكني يطل على نهر بريزبن المتجه إلى المدينة، وعلى المركز الثقافي الجديد ومعرض الفنون، ونافورة الملكة اليزابيت.

لكن ايريان ترددت وهي في موقف السيارات، ونظرت إليه بعينين متسعتين.

قال: تعرفين أنني لا أنوي إغواءك أو أذيتك.

همست: «أجل».

ـ أزف الوقت برأيي لتكلمي أحد عن سرك الأسود الدفين. أعرف أن هناك سراً ايريان كما أعرف تماماً أنك قادرة على تخزينه إلى الأبد.. وهذا أمر خطير.. أتفهمين هذا؟

أغمضت عينيها:

ـ أجل.

ـ حسناً، إذن.

ها هي الآن واقفة على شرفته وسط أشجار نخيل مغروسة في أوعية خاصة، تحدق بعينين مذهولتين إلى جمال المنظر أمامها.. كانت الأضواء تنعكس على النهر.. وظلال جسر ڤيكتوريا عائمة

عليه. تناهى إليها صوت من ورائها فالتفتت لترى كيڤن حاملاً فنجانين من القهوة.

ـ اجلسي.. المكان رائع هنا.. أليس كذلك؟

ـ إنه عظيم.. أنا..

وضعت يديها في حضنها وهي لا تعرف أين تبدأ إذ بدأت يد الخوف الباردة تشد قلبها.. لماذا وافقت على هذا؟

سحبت أنفاساً عميقة، ثم قررت أن تبوح بالحقيقة كاملة.

قالت بصوت مرتعش:

ـ بدأ الأمر قبل زمن بعيد.. على الأقل هذا عذر أتذرع به أمام نفسي. ولكنني أحياناً أشعر كطفلة، ابنة مدبرة المنزل. نعم لا أنكر أن بعض العائلات كانت جيدة والواقع أن وضعي لم يزعجني حتى بلغت الخامسة عشرة وبدأت أشعر أنني «ساندريلا».

ارتشفت قليلاً من قهوتها ثم أضافت:

ـ عندما بلغت السابعة عشرة، كنا قد انتقلنا إلى مزرعة جديدة.. مزرعة كبيرة.. ولكننا لم نمض فيها غير ستة أشهر حتى ماتت أمي.

صمتت لحظات ثم أردفت:

ـ فاستخدموا مدبرة منزل أخرى.. وبما أنني أنهيت دراستي المتوسطة استبقوني. ولكن كان لديهم ولدان أكبرهم..

ارتعش صوتها، ورفعت بصرها إلى القمر، ثم أضافت هامسة:

ـ كان أشبه بإله يوناني بالنسبة لي. أشقر، وسيم، يكبرني بضع سنين وقد عاد لتوه من الكلية التي قضى فيها سنتين يدرس الزراعة.. فكان أن وقعت في حبه بصمت وعجز.

علق كيڤن: «يحدث هذا كثيراً».

ـ أجل.. إلا أنني ارتكبت غلطة قاتلة، افترضت أنه يهتم بي كاهتمامي به.

www.liilas.com

ـ ولكنه لم يكن مهتماً؟

ـ لا . . كان عليّ أن أعرف ذلك لأنه كان يلتزم السرية القصوى. ولكنني لم أتوقف لأفكر أو لأتساءل عن السبب . . أو عما إذا كنا مغرمين حقاً. هجرتني السعادة الزائفة.

ـ لهذا هو عمر خطر، ايريان.

نظرت إلى فنجان القهوة: «نعم ربما. على أي حال، لم ولن أستطيع أن أصدق كيف خدعت نفسي هكذا . . ».

ـ ما الذي حدث؟

ـ كالعادة . . حاول إقناعي بمعاشرته وصوّر الأمر وكأنه أمر طبيعي للكبار والراشدين وأنه يتوقع من حبيبته أن تذعن له، ولكنني خفت كثيراً فرفضت. فحاول أن يقنعني فأبيت. عندئذ شعر بالغضب واتهمني بأنني كاذبة بمشاعري وأنني لولا ذلك لوافقت. كدت أستسلم ولكنني لم أستطع أولاً بسبب خوفي والثاني بسبب تربيتي. بعد رفضي إياه تغير معي ولم يعد يبدي اللطف أو الحنان تجاهي ثم في إحدى الليالي جاءني على حين غرة وحاول الاعتداء عليّ. كان أقوى مني ومع ذلك قاومته بشراسة فضربني ولكنني استطعت الفرار من الغرفة. وما أشد ما كان ذعري ورعبي، يا إلهي!

أغمضت عينيها. فمال كيڤن إلى الأمام ووضع يده على ذراعها:

ـ أنا آسف. ظننت أن الأمر شيء من هذا القبيل. وماذا حدث بعد ذلك؟

ـ لقد أمروني أن أوضب أغراضي وطردوني. كانت مديرة المنزل الجديدة لطيفة، فشكت في الأمر. كان يومذاك عيد ميلادي الثامن عشر. . فلمّا أخبرتها ذهبت إلى رب العمل وزوجته لتخبرهما بما كاد يقدم عليه ابنهما.

ـ حزرت ما حدث، لم يصدقا أن ابنهما يقدم على شيء كهذا.

ـ سألاه . . ثم عادا واتهماني بأنني من أغويته بنية إجباره على الزواج بي. . لكنهما أعطياني بعض المال الذي لم أرغب في أخذه. . لأنني عرفت أن قبولي المال سيزعج أمي في قبرها.

صمتت قليلاً لتمسح الدموع عن وجهها:

ـ تابعي.

ـ تعتني مديرة المنزل بالجنون لأنني لم آخذ المال. . كانت تحاول مساعدتي لذا أعطتني عنواناً في «تورمبا» لأتمكن من إيجاد عمل. . لكنني لم أذهب إلى هناك.

ـ معجزة لأنك لم تعاني من صدمة. ثم ماذا حدث؟

ـ تنقلت في الريف من منزل إلى منزل في محاولة مني لادخار ما أستطيع من المال الذي سيعطيني بعض الأمان. . ولكن في النهاية لم أجد ما أعمله هناك.

ـ خاصة لفتاة ساذجة أصلاً، في الثامنة عشر من عمرها.

ـ لم يكن الأمر هكذا فقط. . كان من السيء أن أقاتل الغرباء لأبعدهم عني، وفي يوم وجدت أنني نلت سمعة سيئة وأن عائلة دنقر. .

عضت شفتها ولم تستطع أن تضيف، فقال:

ـ لقد لفقوا الأكاذيب عنك.

وضعت وجهها بين يديها وقالت باكية:

ـ أجل. . وأعتقد أن شعري الأصهب واسمي الغريب لم يساعداني خاصة في الريف حيث الأخبار تسري بين الناس كما تسري النار في الحطب. عرفت أن الشائعات ستستمر. . فقررت عندئذ التوجه إلى بريزبن مع أنني لم أكن أملك المال الكثير. . ولكنني فكرت أنه لن يصيبني ما هو أفظع مما أصابني.

ـ آه. . يا إلهي!

وقف كيڤن يرفعها إلى قدميها، ويضمها بين ذراعيه:

www.liilas.com

ـ يا طفلتي المسكينة.

وأخذ يمسد شعرها فيما جسدها ينتفض من البكاء. أخيراً قال لها:

ـ اسمعي.. أراك تقسين على نفسك كثيراً.. صدقيني.

مضى وقت طويل قبل أن تهدأ، قالت مرتجفة:

ـ شكراً لك.. وأنا آسفة.

تمتم:

ـ لا داعي للأسف.. هيا بنا إلى الداخل.. أظنها ستمطر.

نظرت إلى فوق فرأت غيمة ثقيلة تبتلع القمر. سألها بعدما صب لها فنجان قهوة آخر، وجلست ترتشفه:

ـ أتشعرين بأنك أفضل حالاً الآن؟

ـ أجل.. حقاً.. تظن أنه كان عليّ نسيان الأمر برمته؟ في الواقع، نسيته أو تناسيته ولكنه يفاجئني أحياناً، أما الليلة فكان أمراً مختلفاً. لم أكن خائفة بل غاضبة. ما أحاول قوله، أنني لم أعد أشعر بالأسى على نفسي.

نظر إليها مفكراً:

ـ ربما يجب أن تشعري بالأسى على نفسك.

نظرت إليه بعدم تصديق.

ـ أعني.. ربما يجب أن تتوقفي عن لوم نفسك كثيراً.. وعليك أن تحمدي الله لأنك نجوت من اعتداء محقق فكري في الوجهة الحسنة من الأمر. ولكن هذا لا يجعلك أسوأ حالاً من آلاف الفتيات الضعيفات اللواتي يتعرضن لهذا المصير المؤسف.. الأمر التالي أن الغلطة الليلة غلطة نات لا غلطتك لأنك لم تشجعيه البتة، أم تراك تظنين أنك سهلة المنال لمجرد ما حدث لك؟

لعقت ابريان شفتيها:

ـ لم أفكر في الأمر من هذه الوجهة.

علت شفتيها ابتسامة ثم أضافت: أصدمتك الطريقة التي تصرفت بها.. ولكنك..

قال ساخراً: «نصحتك بأن تخدشي عينيه مرة؟ أعرف، وأندم على هذه النصيحة الآن ابريان لأنها لم تكن نصيحة جيدة.. ليس جميع الرجال مهذبين لذا قد يجلب تصرفك الخطر إليك.. وأخشى أن يكون عدواً قذراً».

سألت:

ـ سيد مهذب مثلك؟

ابتسم قليلاً وهز كتفيه:

ـ أنا لا أفتخر بأني تغلبت بالقوة على فتاة ضعيفة.. في الواقع، كنت على حق عندما ضربته.

ـ كنت غاضبة.

صمت قليلاً، ثم قال مبتسماً:

ـ بما أنني ألعب دور الطبيب النفسي الهادىء، أتعرفين رأيي بمشكلتك الحقيقية؟ المشكلة أنك تعزلين نفسك كلياً بحيث تقفلين الباب أمام مقابلة أي شخص قد يثبت لك أن الرجال ليسوا جميعهم سيئين.. أنت لا تؤمنين حقاً بهذا؟

فكرت في ميري: «أجد صعوبة في عدم الإيمان بهذا، ولكنني أعتقد أن من الناس الصالح ومنهم السيء. كانت آخر مؤسسة أرغب في العمل فيها هي شركتكم والسبب علاقاتها بالريف النائي. ولولا الضائقة المالية التي كنت أعاني منها لما قبلت الوظيفة.. لقد أمضيت الأشهر الستة الأولى خائفة من الاصطدام بشخص يعرف أسرة دنفر ومع الوقت أصبحت عادة لدي أن أرغب في التسلل إلى حفرة لأختبىء فيها..»

ـ ولكنك بحاجة إلى الناس لأنك عندما ترين أنهم يقدرونك من أجل شخصك وأنهم لا يأبهون لما حدث في ماضيك فستتمكنين من

www.liilas.com

تقدير قيمة ذاتك.

تمتمت:

ـ الغريب أن تقول أنت هذا.. لم يكن ما حدث الليلة بسبب ذكرياتي..

ـ تابعي.

ـ آه! الأمر غير مهم.

ـ ايريان أخبريني.. هل للأمر علاقة بناتانيال؟

عضت شفتها.. فأصرّ بلهجة:

ـ بإمكاني أن أسأله.

ـ أنت آخر من.. أعني..

قال بعد تفكير:

ـ فهمت.. لقد ألمح إلى أنك أكثر من سكرتيرة؟

نظرت بعيداً: «أجل».

ـ وهذا ما أغضبك؟

ـ أجل.. ما قاله غير صحيح ولا يمكن أن يكون صحيحاً أبداً. والواقع أن العمل عندك سكرتيرة منحني قيمة معنوية كبيرة ولكنه باتهامه ذاك مرغ كل هذا في الوحل، وحاول أيضاً الإساءة إليك وهذا غير جائز لأنك رائع معي.

نظر إليها متفرساً لحظة فلم تستطع قراءة ما في تعابير وجهه أبداً..

قال: «لم يقل لي أحد شيئاً لطيفاً كهذا منذ سنوات ولم يدافع عني وعن سمعتي أحد بهذه الضراوة. إن هذا أمر مشجع قليلاً».

همست: «ليس بالنسبة لي».

ضحك ووقف يتقدم إليها: «سأصحبك الآن إلى شقتك، إنما قبل ذلك أريد منك وعداً. عديني أن تضعي كل شيء وراء ظهرك ايريان وأن تبدئي بالإيمان بنفسك والثقة بها وذلك من أجل البدء

بحياة جديدة. أتعديني؟»

أغمضت عينيها: «أجل».

طبع قبلة خفيفة على شعرها.

نظرت ايريان إلى نفسها في مرآة حمامها، ورأت الظلال تحت عينيها، ثم رأت تساؤلاً في عينيها الخضراوين.

أما السؤال فكان: أليس من سخرية القدر أن يكون كيڤن تشايس هو الشخص الذي لامس قلبي في الوقت الذي ظننته قد تحجر إلى الأبد؟

همست: «لا.. لا تدعي هذا يحدث لك.. أرجوك.. ليس كيڤن، الشخص الذي لن تحصلي عليه أبداً».

* * *

رفعت ايريان رأسها عن طابعتها منتفضة، وقالت بارتباك:

ـ حسناً سيد تشايس. في الواقع لقد نسيت أمرها.

تقدم كيڤن تشايس ليجلس على زاوية مكتبها.. لقد مر أسبوعان على حفلة الميلاد الذي سيحل بعد أسبوع.. كانت فترة أقنعت ايريان نفسها خلالها بأن لا أساس لمخاوفها.. بالطبع هي معجبة به كثيراً، وهذا أمر طبيعي لأنه لطيف معها.

ولكنها أقنعت نفسها بأنها لم تقع في حبه. منذ تلك الليلة وهي تبذل جهدها للتعامل على أساس العمل.

قال: «كنت والآنسة توماس نتحدث حين برز الموضوع.. لقد اقترحت أن نأخذ أنا وأنت عطلة في وقت واحد، ولكنني للأسف لا أستطيع أخذ عطلة أما أنت فبلى».

تمتمت ايريان: «لا أظنها اقترحت شيئاً كهذا بل أنت من اقترحه».

ـ ولِمَ لا؟ أنا أعرف الآنسة توماس منذ الطفولة لأنها كانت

www.liilas.com

تعمل عند والدي. بعد وفاة أمي راحت تعتني بنا ولولاها ما كنت أنا أو أختي لنذهب إلى طبيب أسنان، وما كان ليذكر أحد أعياد ميلادنا لأن والدي كان ينساها دائماً. كنا نناديها «تومي» ونبوح لها بكل مشاكلنا.. في الواقع، قدمت لي فتاة صغيرة من قسم الطباعة لتحل مكانك.. وعليك أن تريها كيفية سير العمل.

ـ آه! كما تشاء..

ـ اسمعي! تبدين شاحبة قليلاً، ولا شك أنني أرهقتك بالعمل، إلا إذا كنت تفكرين في تلك الليلة؟

ـ آه! لا.. بل لم أشاهد السيد ماكميهون منذ ذلك الوقت.

ـ السبب عدم وجوده هنا.. فكرت في أن جولة في المزارع البعيدة ستعرفه إلى المكان الذي أتى منه.. وتبرد من حرارة قلبه بطريقة ما. إنه يقوم هناك بإحصاء لي.

حدقت إليه.. فتمتم:

ـ إنه تحت سلطتي في الوقت الحاضر.. لكن فلنعد إلى عطلتك.. إن أفضل موعد لتأخذي إجازتك بالنسبة لي هو بعد الميلاد فيوم رأس السنة ومعظم أيام كانون الثاني أيام بطالة من الصعب القيام بأي عمل فيها، لأن العديد من الناس في العطلة.. ترى ما هي خططك للعطلة؟

قالت بهدوء:

ـ أفكر في السفر إلى غولدن كوست.

سألها: «أليس من الأفضل أن تأخذي عطلة حقيقية تقضينها بين الناس؟»

نظرت بعيداً وتورد وجهها قليلاً، ثم قالت بهدوء:

ـ أخطط لشيء كهذا وأدخر المال من أجله.. ثم أنا سأقابل الناس.. لأنني انضممت أنا وميري إلى نادي تنس.. ولعبنا الجولة الأولى يوم الأحد.

ـ براڤو.. وكيف كان الحال؟

ـ جيد جداً.. كانوا جماعة من الناس الطيبين.. فيما بعد أقام النادي حفلة شواء، حفلة ميلاد في الواقع، استطاع الجميع أن يصحبوا أولادهم معهم لذا لم تكن هذه مشكلة لميري. في الواقع كان ترحيبهم بنا عظيماً لأنه يومنا الأول.

ـ حسناً. أنا مسرور على الأقل لأن حفلة عيد الميلاد كانت جيدة لك.. ماذا ستفعلين في الميلاد؟

قالت مبتسمة: «بما أنه الميلاد الأول الذي يمر على أليس فستزين شجرة مشتركة وستطهو ديك الحبش للعشاء.. وفي صبيحة الميلاد سنذهب إلى محمية «لون باين» لنعرفها إلى حيوانات الكوالا والكنغرو.. ولكننا نتمنى على الله ألا تمطر».

ـ يا إلهي! لقد ذكرتني بالماضي. في طفولتي كنا كل سنة نذهب إلى نهر «لون باين» ونحمل الطعام إلى هناك.

ـ وأنت، ماذا ستفعل؟

ابتسم: «سأقضي يومي مع شقيقتي وقبيلتها. ولأنني خال يعرف واجبه سأساعدها في ملاعبة أولادها»

ـ كم ابن أخت لك؟

ـ أربعة، وابنة واحدة، في الواقع كنت أريد استشارتك بشأن الهدية التي أريد شراءها لفتاة في العاشرة.

ـ هذا وقف على الفتاة.. أظنها تميل إلى أن تكون صبياً بسبب وجودها بين أربعة صبيان.

ـ أبداً.. بل هي أنثى بكل ما للكلمة من معنى، وهي تتحكم بهم بعصا من حديد.

ـ فستان إذن؟ فستان مميز حقاً. أذكر أنني أغرمت، وأنا في العاشرة من عمري، بفستان مكشكش فُصل لي.

ـ وهل حصلت عليه؟

www.liilas.com

ـ أجل.. خاطته لي أمي.

ـ أنت لن..

رفع حاجبه فقالت مبتسمة:

ـ أبداً.. أتريد مني أن أخيطه؟

ـ لا.. بل أن تشتريه.

ـ سأحب هذا. على أي حال، لماذا السكرتيرات الخاصات؟

ـ إذن، لن تعترضي على مساعدتي في شراء شيء لأختي في الوقت ذاته؟ إنها أيضاً أنثى بكل ما للكلمة من معنى على الرغم من أنها تملك السلطة المطلقة في معظم أمور العائلة.

قالت ايريان ببراءة:

ـ لا شك أنها تشبهك.. حسناً.. طالما لا تريد مني أن...

وعضت شفتها.

ـ ماذا؟

ـ لا شيء.

ـ عزيزتي ايريان.. تعرفين أنني لن أبرح مكاني حتى أعرف ما كنت تهمين بقوله. ها أنا ذا أجلس بانتظار أن تخبريني!

ردت بحدة: «لا.. لن تفعل! لديك موعد بعد عشر دقائق..»

ـ وهذا وقت أكثر من كاف لأنتزع منك ما أشاء.. هيا تكلمي».

ـ أوه! أنت..

ـ لا تقولي شيئاً.

ـ حسناً هذا ما أنت.. كنت سأقول طالما لا تتوقع مني أن أشتري هدية ميلاد إلى.. حسناً.. لا زوجة لك. لكن، تعرف ما أعني..

التوت شفتاه:

ـ آه.. أقسم أن هذا لم يخطر ببالي! يبدو أنك لا توافقين على

شيء كهذا.

ـ لا.. لا أوافق.

ـ ماذا تعنين.. إجبار سكرتيرتي على شراء الهدايا للنساء..

سحبت نفساً عميقاً:

ـ سيد تشايس..

رد ساخراً: «نعم آنسة هارت؟»

تبادلا النظرات، نظراتها ساخطة ونظراته جادة.

ثم قالت بحزم: اذهب وقم بعمل ما! ودعني أتمّ عملي فأمامي جبل منه!

ـ آنسة هارت؟

تناهى إليهما صوت غريب من الباب فالتفتا إلى حيث رأيا فتاة مذهولة محرجة تقف هناك وتقول بخوف:

ـ أنا آسفة.. لقد دققت الباب.. ولكن لم يسمعني أحد.. أرسلتني الآنسة توماس كي.. كي..

وقف كيفن تشايس: «بالتأكيد.. أنت الآنسة برادلي من قسم الطباعة أليس كذلك؟ جئت إلى هنا لتحلي محل الآنسة هارت في أثناء إجازتها. إنها معلمة ممتازة.. خاصة في العلاقات بين الرئيس وسكرتيرته، وفي كيفية التعامل مع الوحش. سأعود إلى عملي آنسة هارت كالحمل الوديع».

أقفل الباب الداخلي خلفه بكل لطف.

أدارت الآنسة برادلي عينين مرتبكتين إلى ايريان التي أغمضت عينيها قليلاً وصرّت على أسنانها.

قالت الفتاة: «ظننته صاحب طبع رهيب، ولكنني سمعتك تأمرينه بالرحيل».

ـ لم أكن.. كنت.. لقد رحل.

صمتت تحدق إلى جوليا برادلي التي تعرفها قليلاً، ووجدت

www.liilas.com

أنها تتساءل عما إذا كانت الآنسة توماس قد جنت فجأة.. فجوليا ليست أكثر من طفلة فهي خجولة إلى درجة العجز.

- إنه في بعض الأحيان صعب المراس.. لكن يمكنه أن يكون في غاية اللطف. عليك أولاً ألا تجعليه يرهبك أو يخيفك.

قالت جوليا بارتباك: «لقد أخافني فعلاً».

- شعرت بالرهبة منه حتى عرفته جيداً. والآن سأعلمك ما عليك فعله.

لكنها كانت تفكر أن هذا كله لن ينجح.

قبل يومين من عيد الميلاد، غيرت رأيها، وفاتحت رئيسها بالأمر.. لكن بعدما أرته هدايا الميلاد. قالت بتحد قليلاً:

- في النهاية خطت الفستان المكشكش بنفسي.. لم أجد فستاناً جميلاً فصرفت المال على هذه العلبة الموسيقية الجميلة، وهي في الوقت ذاته علبة مجوهرات.. انظر كيف ترقص التماثيل الخزفية حين تعزف الموسيقى؟

قال ببطء: «أجل».

والتقط الفستان. إنه تشكيلة رائعة من القوال الأصفر المزركش الأطراف بالدانتيل..

قال: حسن جداً.. لست خبيراً، لكنه يبدو قادماً من أفخر محلات الأزياء.. أنت عبقرية ايريان!

ضحكت: «لا.. لست هكذا. لكنني أجيد الخياطة.. لقد اشتريت جوارب دانتيل طويلة تناسبه فأرجو أن يعجبها.. أنا واثقة أن العلبة الموسيقية ستعجبها.. أما لشقيقتك فاشتريت..»

قاطعها: «ايريان.. لا شك أنني مدين لك ببعض المال.. ولا شك أنك أمضيت ساعات في خياطة هذا الفستان. إنه عمل فني».

تورد وجهها.

- لا.. لقد استمتعت بالعمل.

- لكن..

- لا أرجوك سيد تشايس.. ستجعلني أندم لأنني صنعته.

نظر إليها لحظات بصمت، ثم ابتسم قليلاً:

- سأقول فقط: شكراً لك يا ثعلبتي الحمراء.. الجميلة!

- اشتريت لشقيقتك هذه الحقيبة الجلدية الإيطالية الفاخرة.. فيها حافظة نقود مماثلة، وحمالة مفاتيح.. أترى؟

أخرجت حقيبة جلدية مصنوعة من جلد العجل ولها رباطات من جلد الأفعى أرجوانية اللون. لقد كلفتها هذه أيضاً ثروة صغيرة لكنها لم تقل هذا. في الواقع المال الذي أعطاها إياه لتنفقه على هدية شقيقته وابتها خطف أنفاسها. في البداية لم تستطع أن تتصور ما تشتري به، ثم بدأت تفتش في محلات الهدايا الغالية الثمن وعندئذ واجهتها مشكلة مختلفة تماماً.

- أتظن أنها ستعجبها؟

- إنها تشبه ما تحبه لورنا.

- عظيم. أتريدني أن ألفها لك؟ لدي ورق مناسب جميل.

- الله يعلم ما كنت أفعل قبل أن تأتي آنسة هارت.

- أعرف.

- حسناً.. ولكن لم تظهر لي أية سكرتيرة من سكرتيراتي مثل هذا الذوق.

- يشرفني هذا الاطراء سيد تشايس.

والتقطت الفستان.. فقال:

- أنت تضحكين مني آنسة هارت.

- أبداً.. بالحديث عن السكرتيرات.. هناك ما أريد لفت انتباهك إليه.

ارتد في كرسيه: «الآنسة برادلي؟ هل ماتت خوفاً مني».

- لا.. لم تمت.. وهذا لا يعني أن هذا غير محتمل الحدوث.

www.liilas.com

إنها في غاية الذكاء.. في الواقع أدهشتني فهي تفكر قبل أن تفعل شيئاً، وتتذكر ما قيل لها، وهي سريعة ودقيقة في الطباعة.. هكذا..

قال: أعدك ألا أفعل لها شيئاً. سأعاملها بقفاز من حرير.

عضت ايريان شفتها، فسأل: «أليس هذا ما أردت طلبه مني؟»

ـ هذا أولاً وثانياً ألا تمازحها كثيراً. إنها خجولة وقد يصعب عليها التعامل مع مزاحك.

استوى في مقعده:

ـ عزيزتي ايريان.. لقد خطرت على بالي فكرة.. لماذا لا تخرجين لتشتري لي كمامة؟ بهذه الطريقة لن أتمكن من قول أو فعل الكثير للفتاة المسكينة!

لكن ايريان غادرت مكتبه بسرعة.

حل يوم الميلاد.

وجدت ايريان مكافأة لها وقد جعلتها قيمتها ترفرف عينيها.. لكن حين حاولت شكر كيڤن تشابس، لوّح لها بالانصراف قائلاً إنها سياسة الشركة.

أمضت الصباح تحاول إنهاء آخر الأعمال المتأخرة مع جوليا برادلي، الأمر الذي كان متعباً لها بسبب عدد الأشخاص الذين زاروا كيڤن تشابس لتقديم تحيات الميلاد والهدايا وتلقيها، وأصبح العدد كبيراً بحيث وصلوا إلى المكتب الخارجي ووجدت ايريان وجوليا نفسيهما تشاركان الزوار بشرب المرطبات.

ستقفل الشركة أبوابها رسمياً بمناسبة الميلاد، في الساعة الثانية من بعد الظهر. ولكن الزائرين لم يتوقفوا عن القدوم.. في الثالثة نظر كيڤن إلى ساعته، وقال لإيريان وجوليا:

ـ من المفترض أن تكونا قد ذهبتما!

تمتمت ايريان: «ستحتاج لمن ينظف المكان».

عرضت جوليا عليهما ما فاجأهما.

ـ سأبقى أنا لأنظفه.

فتحت ايريان فمها، لكنها تلقت نظرة ضاحكة من الرئيس تقول بوضوح: سأعتني بها، وأهتم بألا يمازحها أحد. فالتوت شفتاها بابتسامة قلق.. ومدت له يدها:

ـ حسناً.. ميلاد سعيد سيد تشابس.

أخذ يدها:

ـ ولك أيضاً آنسة هارت.. استمتعي بالعطلة.

ولكنها رأت في عينيه ما حيرها.. رأت شيئاً ماكراً..

ـ ولا تقلقي علينا.. ستتفق معاً بشكل جيد.. أليس كذلك آنسة برادلي؟

ردت جوليا بدهشة ساذجة: «أظن هذا».

ولم تستطع ايريان إلا القول:

ـ أنا واثقة من هذا.

ثم ارتدت على عقبيها لتخرج بهدوء.. ولكنها كانت تشعر بالإحباط وبالفراغ.. هل السبب أنني لن أراه مدة ثلاثة أسابيع ونصف؟ لا تكوني حمقاء يا ايريان هارت.. لا تكوني حمقاء..

لكنها كانت تكبح دمعة حمقاء وهي تخرج من مبنى ماكميهون إلى الشارع الغارق بأشعة الشمس البراقة.

وصلت إلى المنزل فوجدت ميري تذرع شقتها وهي تبدو مثالاً للإحباط والبؤس.. لكن السبب لم يتضح بسرعة لأنها حاولت أن تدعي أمام ايريان أنها بخير.

ثم أجهشت بالبكاء وباحت بما تكتمه.. أرسلت أمها برقية تطلب منها أن تتصل هاتفياً، وعبر الهاتف أوضحت أن والدها يرغب في مصالحتها، ويريدها أن تحضر هي وابنتها إلى المنزل.

www.liilas.com

أكملت ميري باكية:

ـ لم تكن أمي من كلمتني بل هو. ولكنها هي من عمل على إقناعه تلك الأشهر.. لقد كلمني وطلب مني أن أسامحه.. قال إنه آت بسيارته ليأخذني هذا المساء.. آه. لا أدري ما أفعل!

سألتها ايريان بلهفة:

ـ لكنك قلت إنك ذاهبة؟

ـ أجل.. أجل.. لكنني فكرت فيك بعد ذلك. بإمكاني الاتصال به.. فهو لم يترك المنزل.

ـ إياك أن تفعلي! حبيبتي، أصغي إليّ.. سيؤثر هذا الأمر في حياتك كلها.. مع حبهما ودعمهما ستكون الأمور أسهل بكثير لك.. فكري في ألين.

ـ لكن ماذا ستفعلين؟ إنه الميلاد وكنا نخطط فيه للخروج جميعاً.

ـ أتعلمين؟ إن ما حدث لك هو أكثر مما أتمناه في الميلاد.. اسمعي.. لقد أخبرتني عن طيبة والدك وهذا يعني أنه تنازل كثيراً ليطلب منك هذا المطلب. لذا لا تفكري في وضع العراقيل في وجهه. اذهبي فقط، وأظهري له مدى حبك.. وأعدك بأن تفعل ألين ما تبقى.. سترين.

قالت ميري بأمل:

ـ أنا.. ربما تستطيعين مرافقتنا؟

ـ لا حبيبتي.. الأفضل أن تكونوا وحدكم. والآن، هل ستوضبين حقيبتك أم أقوم أنا بهذا نيابة عنك؟

عندما كانت تودع ميري تلك الليلة ووالدها المتجهم الأرستقراطي المظهر الذي نظر مرة إلى حفيدته، ثم ارتد ليأخذ ابنته بين ذراعيه والدموع في عينيه، أحست ايريان بغصة في حلقها.

لكن السبب هو شعوري بالسعادة لهم.. أقنعت نفسها.. ولأن الميلاد على ما يبدو ما زال قادراً على اجتراح المعجزات..

***

www.liilas.com

٦ ـ ثقي بي!

قامت ايريان بطهو الديك الرومي، لأنها سبق أن ذوّبت الجليد عنه على أي حال..

وقفت شجرة الميلاد في زاوية غرفة نوم ايريان، مزينة بالزينة الذهبية والفضية والحمراء التي فتنت ألين كثيراً.. وكان تشارلي أيضاً له زينته ولكنه لم يجدها فاتنة، بل مثيرة للقلق.

نظرت ايريان إلى بقايا الطعام وتساءلت لماذا أزعجت نفسها.. سيبقى الكثير الكثير من طعام الميلاد.. وسيكون طعامها في الأسبوع القادم ما تبقى من ديك الحبش وبخنة الخضار. تنهدت ثم شرعت بتنظيف الطاولة.

في الثانية من بعد الظهر أدارت التلفزيون وراحت تشاهد عرض باليه.. ولكن مع انتهاء آخر نغمات «قالس الزهور»، وجدت أنها في قبضة حزن كبير. تحركت في مقعدها بانزعاج، وكأنما تريد نفض هذا المزاج عنها ولكنها لم تنجح.. بل ازداد.. وفكرت وهي تجهش بالبكاء: ربما السبب اعتمادها على هذا اليوم منذ مدة.. وهذا اليوم الوحيد هزمها..

اجتاحها جسدياً ومعنوياً سيل جارف من المشاعر بعنف وكان هذا السيل أسوأ بكثير من الدموع المريرة التي ذرفتها عندما كشفت عما في نفسها أمام كيڤن تشايس. لم تكشف له ذلك الإحساس الفظيع المخيف بالوحدة الذي جاهدت سنوات لإخفائه، ولكن هذا

الإحساس يطالب بها الآن، ويزيل عنها كل ذرة من الاكتفاء الذاتي الذي جاهدت لبنائه وينخفض بها إلى مستوى الذعر الأعمى.

بكت تقول لنفسها: لماذا؟ لماذا الآن؟ لقد أمضيت أعياد الميلاد بمفردي منذ سنين.. يا إلهي.. كنت مخطئاً كيڤن.. لم أكن أتوقع أكثر من هذا من قبل. قبل هذا اليوم، لما اهتممت بأن أكون بمفردي.. لكنني كشفت عن نفسي مرة أخرى وهذه المرة أمامك.

بكت بكاء عجزت معه عن التوقف، بكت لأنها أدركت أن سبب هذه الأزمة هو ارتكابها السخرية القصوى.. لقد وقعت رأساً على عقب في حب كيڤن تشايس.. والغريب أنها لم تدر أن الغيوم تلبدت وأن المطر انهمر والطقس اشتد صقيعه. كل ما تفكر فيه أنها كانت ستتمكن من الاستمرار والثبات لو كانت ميري وأليس موجودتين.

جعلها صراخ تشارلي ترفع رأسها أخيراً. ثم ظنت أنها تهذر أو أنها فقدت عقلها ذلك أن عينيها المغرورقتين بالدمع وقعتا على شخص طويل كان واقفاً في باب شرفتها الخاصة مسمراً.. إنه كيڤن..

كان حاملاً بين يديه ثلاث هدايا. قال: جئت ألعب دور بابا نويل.

أنزل الهدايا.. إن هذا أشبه بحلم، وكأنه حلم سيبته مسرحية الباليه.

ثم رأت عينيه تتغيران، وسمعته يقول بقلق وحنان:

ـ ما الذي حدث؟ ماذا جرى؟

ـ أوه.. شكراً لله!

سحبت نفساً عميقاً ثم وقفت ترمي نفسها بين ذراعيه.

* * *

ـ أتشعرين أنك أفضل حالاً؟

أغمضت ايريان عينيها وقالت بصوت أجش:

ـ هذا ما تقوله لي دائماً. أجل أشعر أنني أفضل حالاً. شكراً لك، وآسفة.

اشتدت ذراعه حولها.. كانا جالسين على الأريكة مستندين إلى الوسائد المرفوعة، رأسها على كتفه وركبتاها مكورتين إلى فوق، وكوب القهوة بين يديها، مع أنها لم تكن قادرة على منع نفسها من الارتجاف.

جلسا هكذا صامتين فترة، كان خلاله يرفع يده ليعبث بشعرها. فكرت: مستعدة للموت هكذا، وأنا في منتهى السعادة لكنني لا أستطيع فإن لم أفعل شيئاً قريباً سيسيء الظن بي.

ابتلعت ريقها وجلست:

ـ يجب ألا تظن.. أعني، أنا سعيدة جداً من أجل.. لولا هذا الطائر الغبي الأحمق الذي لا يكلمني لاستطعت..

وتوردت خجلاً فصمتت.. يا له من كلام غبي أحمق..

وتتكلمين عن الغباء؟

تناول منها كوب القهوة ووضعه جانباً:

ـ ايريان.. ارجعي إلى هنا.

ابتسمت ابتسامة شاحبة ثم همست:

ـ لا.. لقد ذهبت إلى ما هو أبعد من الواجب بسببي.. أعني أن مجيئك صبيحة الميلاد محملاً بالهدايا لنا جميعاً كاف، فذلك كان سيجنبك التعامل مع الهستيريا التي تراها أمامك.. هل.. أعجبها الفستان؟ ابنة أختك؟

لم يرد فوراً، بل راقبها حتى أشاحت وجهها مرتبكة، وحاولت النهوض.. ولكنه مد يده وجذبها إليه، وعقد ذراعيه حولها.

ـ لقد أحبته، وأحبته أختي أيضاً هذا عدا الحاضرين. في الواقع

لو قررت أن تكوني مصممة ملابس للسيدات الصغيرات لأصبت لك عملاً.

ـ أنا مسرورة لأنه أعجبها.

ـ لكنني لم آتِ لأزورك بدافع الواجب.. بل جئت رغبة مني في المجيء.. وأجد أن هناك شيئاً آخر أريد أن أفعله.. انظري إليّ ايريان.

رفعت وجهها تنظر إليه فعانقها بلطف:

ـ هذا.. وهذا..

وشبك أصابعه في شعرها.

قالت وأنفاسها متقطعة:

ـ آه! لا.. لا.. لست مضطراً لـ..

أحست أنه يبتسم، وسمعته يقول:

ـ أردت أن أفعل هذا مرة من قبل.. لكنني لم أكن أدرك ما هو السبب، أو ماذا كنت أريد يومذاك. أظنني قلت لك إنك تذكريني بشيء وإنك سيدة غامضة. لكنني كنت أفكر في هذا، كما اكتشفت.. فكرت أنه من الرائع أن أعانقك وأعانقك.

وعانقها بلطف وشغف فذهلت بحيث لم تستطع المقاومة بل التجاوب معه.

بعد قليل خبأت وجهها في كتفه، لكنه وضع يده على ذقنها يمنعها.. وقال متمتماً:

ـ ايريان؟

همست: «أوه.. لا».

ـ انظري إليّ إذن.

ارتجفت رموشها وكانت عيناها شديدتي الاخضرار.

قال: «لماذا ترتعشين خوفاً؟ لماذا؟»

ـ أنا.. لا أعرف..

www.liilas.com

ـ أتعرفين.. من المضحك أن تقولي هذا.. هل تعرفين متى اكتشفت سر السيدة الغامضة؟ كان ذلك حين قلت إن ما قاله نات عنا لم ولن يكون صحيحاً. ووجدت نفسي أفكر، بلى قد يكون صحيحاً ببساطة.

انتفضت واجتاحتها موجة من التوتر.. فراقبها ثم قال:

ـ ما عنيته، أنك كنت واثقة بأنني لن أجدك مرغوبة.

ـ صحيح.

ـ إذن، كنت مخطئة.

نظرت ايريان إليه مذهولة، وسؤال يحير دماغها. لكن، ماذا عن ديكسي هيودجز؟ ماذا عن...

لكن الرد كان سؤالاً آخر قاسياً.. هل من الضروري أن يكون المرغوب والمحبوب الشيء ذاته؟ الحب الذي قد لا تحصل عليه..

سمعت نفسها تقول:

ـ أتعرف.. أتعرف في ما أفكر؟ أظنني بالنسبة إليك صوفيا أخرى..

وضعت إصبعها على شفتيه لمنع احتجاجه:

ـ لا.. لا أعترض.. الأمر مضحك حقاً، لأن عليّ أن أعترض بشدة.. لكنني لا أعترض والآن أريد أن أسألك عما كان في تفكيرك؟

قال ببطء: حقاً؟ أردت معانقتك لسببين: أولاً لأنني أردت أن أخفف عنك، وثانياً لأنني أهتم بك حقاً.

ما إن أتمّ جملته حتى عانقها بشغف فردّت عناقه بأحرّ منه.

بعد لحظات بدت دهراً أبعدها عنه ليسألها:

ـ هل ذهبت يوماً إلى نيوساوث وايلز؟

ـ لا.. لماذا؟

ـ قد لا يكون الطقس ممطراً هناك.

ردت برزانة: «لكنه مكان كبير».

ـ لدى أصدقائي منزل في «كاباريتا» ولكنهم الآن في أميركا مدة ثلاثة أشهر، وقد تركوا لي المفتاح وسمحوا لي باستخدامه متى شئت.

ـ لكن، ألم يكن لديك خطط للعطلة؟

ـ لم يكن لدي ما هو هام.

ـ أنا.. هناك تشارلي.

ـ تشارلي؟ سنأخذه معنا!

ـ لكن..

ـ ألا تريدين السفر معي يا ثعلبتي الحمراء؟

ـ إذا كنت متأكداً..

لثمت شفتاه قمة رأسها، وقال ساخراً:

ـ لم أكن يوماً قط أكثر تأكداً مما أريد.. على أي حال.. والآن أتمنى لك نوماً هنيئاً، أراك غداً صباحاً.

رافقته إلى الباب حيث عانقها من جديد ثم انطلق إلى الخارج تواريه العتمة.

في الصباح التالي انطلقا بالسيارة إلى نيو ساوث ويلز. استغرقت الرحلة أربع ساعات. ابتسمت ايريان لكيڤن وهما يدنوان من منزل حجري حديث مبني على رأس صخري.

ـ ألم تقل إن الطقس غير ممطر في نيو ساوث وايلز؟

عبس كيڤن وهو يتأمل الغيوم الملبدة.

ـ قلت ربما.. أيعجبك؟

أوقف السيارة أمام المرآب في الطريق الداخلية المنحدرة وتطلعت ايريان إلى المنزل.. كان الشاطىء تحته أبيض نظيفاً.

ـ إنه رائع.. ولا يهمني المطر.

عندما دخلا إلى المنزل لم تستطع غير إبداء الاستغراب، فإن

www.liilas.com

كان هذا المنزل هو منزل العطلات فكيف هو المنزل الدائم.

اختارا غرفتي نوم ثم انطلقا إلى القرية، واشتريا منها المؤونة فعرفت عندئذ ايريان أن كيڤن ينوي البقاء هنا مدة أطول من عطلة الميلاد.

قالت ضاحكة:

ـ لدينا ما يكفي شهر!

ـ يجعلك القرب من البحر جائعة. ألا تعرفين هذا؟

ـ لا إذ لم يسبق لي أن أقمت مدة طويلة قرب البحر.. ولكنني ما زلت أعتقد..

ـ أبداً؟

ـ لم أر البحر حتى بلغت الثامنة عشرة.. فبريزبن بعيدة عن البحر.. لكنني ذهبت مراراً إلى «سيرفيرز بارادايز» لأقضي يومي فيه.

ـ وهل أعجبك؟

ـ سيرفيرز أم البحر؟

ضحك: «الاثنين».

ـ أعجبتني سيرفيرز.. وأحببت البحر. ولكنني أخاف النزول إليه.

أمسك بيدها يضغط عليها: «ثقي بي إذن».

* * *

بعد عدة أشهر على هذا كانت تذكر جميع تفاصيل تلك الإجازة في «كاباريتا» بدقة ولكنها تعرف أنها لن تنساها حتى آخر العمر.

وكيف لها أن تنسى؟ كيف لها أن تنسى كيف أشرقت الشمس في اليوم التالي على وصولهما وكيف كان البحر براقاً متراقصاً تحت سماء زرقاء.. أو كيف أمسك كيڤن بيدها يشجعها قليلاً فقليلاً، ثم

أمسكها بحزم بعدما راح قلبها يخفق خوفاً، ثم لمّا رأته يخوض عباب البحر قررت أن تكون شجاعة.

كيف للمرء أن ينسى تكاسله تحت أشعة الشمس وقرب البحر؟ تذكر أنها في أحد الأيام بعدما تناولت الغداء راحت تتثاءب.

ـ أنا آسفة.. لا أدري لماذا أحس بالنعاس.

ـ هذا ما يفعله البحر بالإنسان أيضاً.. لكن عليك الانتباه إلى بشرتك، إنها حمراء قليلاً.. أتؤلمك؟

ـ لا.. لقد وضعت الكثير من الزيوت عليها.

ـ عظيم.. هيا.. قومي واخلدي للنوم.

ما هي إلا دقائق حتى كانت تغط في نوم عميق.

كان الوقت متأخراً عندما استيقظت ذلك العصر ولكنها ظلت مستلقية بسبب النعاس فحاولت طرد النوم عن عينيها وتمنت أن تدوم هذه الجنة إلى الأبد.. ولكنهما غداً عائدان إلى بريزبن.

سمعت كيڤن يتكلم حين خرجت من السرير، فلحقت بصوته حيث وجدته في المكتبة يضع سماعة الهاتف..

قال: «مساء الخير!»

ـ آسفة.. كيفَ أقضي هذه العطلة بالنوم؟

ضمها إليه يلثم شعرها:

ـ لا تهتمي.. لدينا وقت طويل.. أسبوعان آخران على أي حال.

نظرت إليه متسعة العينين: «أسبوعان».

ـ أجل.. لقد رتبت الأمر لتوي عبر الهاتف.

ـ لكن..

ـ لكن ماذا؟ سبق أن أخبرتك أنه من الصعب عمل شيء في مثل هذا الوقت من السنة.. أليس كذلك؟

ـ أجل.. ولكن.. أعني.. ماذا عن جوليا؟

www.liilas.com

ضحك وتورد وجهها من سخريته فأردفت:

- تعرف ما أعني. تعجبني فكرة قضاء أسبوعين قرب البحر لكن..

قاطعها: «قبل أي شيء، كنت على حق في ظنك بالآنسة جوليا برادلي.. الواقع سأخبرك المزيد. بمقدورها أن تصبح سكرتيرة عظيمة وستكون يوماً زوجة مدبرة لرجل سعيد».

- وكيف تعرف كل هذا؟

- بعدما خرجت يوم الميلاد تساءلت كيف سأتخلص من الجميع ثم رأيتها تأخذ بزمام المبادرة. قدمت لنا القهوة، ثم أخرجت الجميع بأقل عناء.. فعلت هذا بذكاء، والآن أجدني أثق بها.

- أوه..!

- أجل.. فهل من اعترافات أخرى آنسة هارت؟

عبست: «لا أستطيع التفكير بشكل سوي».

- إذن، فلنخرج ولنسبح.

ومر الأسبوعان بسرعة.

أسبوعان ذهبيان سبحا فيهما واصطادا الأسماك وتنزها سيراً على الأقدام وتجولا بالسيارة في منطقة «نورثرن ريفر» و«نيوساوث وايلز»..

وتحدثا كذلك.. أحياناً حتى وقت متأخر من الليل وهما على الكراسي الطويلة على الشرفة، يمسك أحدهما بيد الآخر. لقد تحدثت في هذين الأسبوعين أكثر مما تحدثت في حياتها كلها..

اكتشفت أنها تحبه أكثر مما تظن.

قضيا أول يوم في السنة الجديدة بهدوء، كانت ايريان تحتاجه، لتستجمع قواها.. لتعود إلى نفسها المرحة، إلى ايريان هارت التي رمت نفسها في عباب هذه الرحلة.

عندما قَرُب الأسبوع الثاني من نهايته ظنت أنها نجحت في

استعادة نفسها.. بكل تأكيد، لم يعد هناك نوبات عصبية.. مع ذلك، في اليوم قبل الأخير، لاحظت أن كيڤن هادىء جداً.. كان الوقت عصراً وكان واقفاً على الشرفة ينظر إلى البحر ويداه في جيبيه.

خرجت إليه ووقفت قربه بصمت فظنته لم يسمعها. ولكن بعد بضع دقائق وضع ذراعه على كتفها بدون أن ينظر إليها، وقال:

- مرحباً، يا ذات الشعر الأصهب.

- مرحباً، فيم تفكر؟

لم يرد فوراً، ثم ظنت أنها سمعته يتنهد قبل أن يقول:

- ما أجمل هذا المكان وما..

وصمت.. فعرفت أنه كان سيقول «وما أجملك» لكن الهاتف رن، فتبادلا نظرات استغراب.

- لا شك أن الاتصال من الشركة.. لا أحد يعرف أنني هنا.

وكانت الشركة.. فدخلت ايريان إلى المطبخ لتحضر العشاء ولكنها كانت تسمعه يتحدث في الهاتف، وكان المتكلم فيلمور ماكميهون.

ثم أقفل كيڤن السماعة بحدة، وجاء يبحث عنها.. كانت تقشر البطاطا وأسند نفسه إلى رف المغسلة ثم قال:

- لقد هربت جميع الشرور من الجحيم.. على ما أخشى.

- آه!

- أجل.. لا تقشري المزيد.. إنه مركز التسوق.. أفلس أحد متعهدي البناء فجأة.. وهذا يعني استدعاء عروض جديدة.. وهذا ما سيرهق مواعيد الجميع.. أتعترضين إن عدنا الليلة؟

أخذت ايريان منشفة وجففت يديها.

- لا.. بالتأكيد لا.

- أعرف أنني لن أستطيع القيام بشيء الليلة ولكن..

www.liilas.com

ـ أعرف.. ولكنك تستطيع البدء بالعمل باكراً.. أنا آسفة على ما حدث بعد عملك الدؤوب في المشروع.

التوت شفتاه بابتسامة: «وأنت.. ايريان..».

لكن الهاتف عاد يرن مجدداً:

ـ يا للعنة! لا يصاب فيلمور بالذعر بسهولة.. ولكن الدلائل ظاهرة الآن. أراهن أنه هو المتصل مجدداً.

وكان هو المتصل، بدأت ايريان توضب الحقائب بسرعة وكان أن غادرا المنزل بسرعة بحيث نسيت تشارلي الذي عادت راكضة لتأخذه..

قالت مقطوعة الأنفاس وهي تصعد إلى السيارة مجدداً.

ـ شيء واحد.. كنت سأنظف المكان غداً.. إنه نظيف، لكن..

ـ لا تقلقي، لديهم عاملة تقوم بتنظيفه وهي تعيش في القرية، تأتي كل أسبوعين حين يكون المكان فارغاً.

ـ أوه.

ـ اسمعي.. أنا آسف على العجلة. ولكنني وعدت بزيارة فيلمور الليلة.. وقد نصل إلى بريزبن في الثامنة والنصف.

ـ لا بأس.

ربطت حزام الأمان، وانطلقت السيارة مسرعة. نظر إليها فوجدها متجهمة، فأبطأ سرعة السيارة:

ـ أنت على حق.. الأفضل أن نصل إلى بريزبن دون محضر مخالفة للسرعة.

ولكن، على الرغم من التزامه بالسرعة القانونية.. كانت رحلة سريعة.

قالت وهو يوجه السيارة إلى الموقف تحت الأرض في مبنى شقته.

ـ سأستقل سيارة أجرة إلى المنزل.

ـ لا.. لن تفعلي هذا.

ـ لكنك قد تتأخر.

ـ نامي عندي إن شئت.

التقط الحقيبتين:

ـ أحضري تشارلي.

ـ كيڤن..

ولكنه كان يتجه نحو المصعد فاضطرت للركض لتلحق به، وهذا ما أزعج تشارلي ودفعه إلى بعثرة طعامه. حاولت مجدداً وهي في المصعد:

ـ كيڤن.. أظن أنه عليّ الذهاب إلى البيت.

ـ لماذا؟

ـ حسناً..

لكن المصعد توقف وخرجا منه.

ـ أدخلي.. أعتقد أن تشارلي بطيء الحركة. سأستحم بسرعة.. تصرفي وكأنك في منزلك.

ـ كيڤن..

تنهدت ثم وضعت تشارلي أرضاً فتوقف بعد لحظات عن القفز في قفصه، وجلس في الزاوية ساخطاً.

جلست ايريان، محبطة قلقة.

ـ ما الأمر ايريان؟

انتفضت مذعورة ونظرت إلى كيڤن وهو يتقدم نحوها. كان يزرر قميصه وشعره مبلل، فتمتمت:

ـ ما زلت أعتقد أن عليّ الذهاب إلى البيت.

مد يده يجذبها لتقف:

ـ وأنا أعتقد أن عليك قضاء الليل هنا لسبب وجيه.. لكي

www.liilas.com

أستطيع، رسمياً، وبشكل لائق، أن أطلب منك الزواج بي ايريان..
ولكي تستطيعي رسمياً وبشكل لائق أن.. تقبلي!

***

٧ ـ لا!

حدقت ايريان إلى باب الشقة ويدها على شفتيها.

لم تقل شيئاً عندما طلبها كيفن تشايس للزواج.

وكان السبب الرئيسي الصدمة الكاملة أما السبب الثاني فعدم إعطائه إياها الفرصة لتقول شيئاً.. فقد اقتادها إلى المطبخ، وفتش في الثلاجة ليخرج بيتزا مجلدة وحلوى تفاح مثلجة، ثم اعتذر مبتسماً لعدم قدرته على إطعامها ما هو أفضل من هذا، وأراها المايكروايف، ثم ضمها بين ذراعيه، وقال مازحاً:

ـ لا تكوني مصدومة هكذا أيتها سيدة تشايس القادمة.. سأعود في أسرع وقت ممكن.. ولكن اخلدي إلى النوم إن أردت ذلك.

همست للباب الأمامي المقفل:

ـ أنت لا تطاق.. لا تطاق.. خشيت أن يحدث هذا.. لذا سأجلس هنا وأفكر في الأمر كله.. أفكر كيف أقول لا.. لقد فكرت مراراً وتكراراً حين كنت أحاول عدم التفكير أو حين كنت أدعي أمام نفسي أنني سأعيش فقط لحاضري ساعة بساعة ويوماً بيوم.

ربما الأفضل أن تعود إلى منزلها.. ولكن ماذا بعد العودة إلى منزلها؟ أتختبئ كالأرنب؟ آه.. يا إلهي! ماذا أفعل؟

ما فعلته بعد تفكير ملي هو تسخين البيتزا التي أكلت بعضاً منها، ثم أعدت فنجان قهوة واحتسته وبعد ذلك راحت تجوب الشقة

www.rilas.com

مغمومة.

أخيراً عملت بجزء من نصيحته.. استحمت في مغطسه الفخم.. ولأنها باقية هنا الليل بطوله ارتدت غلالة نومها ووضعت الروب فوقها، ثم عادت إلى غرفة الجلوس وأدارت التلفزيون.. ولكنها غفت وهذا آخر ما أرادته..

استيقظت بين ذراعيه فتمتمت وسط نعاسها: «كيڤن..».

ـ نعم. لا بأس عليك.. سأحملك إلى السرير.. أتستطيعين أن تضيئي النور؟

ـ.. أوه.. أجل.

مدت يدها من فوق كتفه وضغطت الزر على الجدار، فانتشرت الإضاءة المركزية.

رفرفت عينيها بنعاس وهو ينزلها ويضحك لها:

ـ هاك..

وضعها في السرير وكأنها طفلة، ثم أضاء المصباح قرب السرير وتقدم إلى الجدار يطفىء النور الرئيسي. سرعان ما ساد الغرفة الأنيقة ظلال غامضة.

جلس على حافة الفراش ففكرت: بإمكاني أن أجعل من هذا الروتين الليلي من الخلود إلى الفراش والنظر إليه دائماً حيث أستطيع أن أراقبه وهو يخلع حذاءه ويفرغ جيوبه، ثم يخلع قميصه.. عضت على شفتها لتقول:

ـ ماذا..؟

أدار رأسه ليسأل:

ـ حسناً؟

وتصادمت الكلمتان، ورفع حاجبه متسائلاً فأجابت:

ـ كم الساعة الآن؟

ـ الثانية عشرة والنصف.. تأخرت قليلاً عما توقعت..

انقبض قلبها لأنها أحست بمزاجه.. إنه الآن كيڤن تشايس الذي يتعامل مع الوقائع والحقائق والذي لا يؤمن باللف والدوران..

ـ علينا أن نتكلم عن الموضوع صباحاً.

ـ لن يكون أمامنا وقت في الصباح ايريان.. وعلى أي حال ليس هناك الكثير نتكلم عنه.. أليس كذلك؟ مجرد نعم بسيطة أو لا ستفي بالمراد.

ـ كيڤن..

جلس على الفراش قربها.

ـ ماذا كنت تريدين أن تقولي؟ أعتقد أن لديك شيئاً ما في ذهنك. رأيت هذا في عينيك عندما استيقظت.

سحبت نفساً عميقاً.

ـ ربما.. ولكن.. لا أظن أن الوقت جيد.. وأنت بلا شك متعب.

قال وهو يمسكها بكتفيها:

ـ عزيزتي ايريان، لن يكون هناك أبداً وقت أفضل، خاصة إن كنت تنوين قول لا.

شهقت وهي تحاول تحرير نفسها من أصابعه التي تحفر في كتفيها بشكل مؤلم. فجأة أحست بالغضب:

ـ اصغ إليّ كيڤن تشايس.. لا يمكنك معاملتي وكأنني صفقة تجارية. علينا أن ننهي هذا الآن لأن لا وقت لدينا في الصباح، فالصباح محجوز لأعمال أخرى.. ولكنني أعرف ما هي الأعمال الأخرى.. وأعرف لماذا لن تجد الوقت مناسباً للحديث عن الزواج.. بمقدور أي أحمق أن يفهم هذا.. ثم هلا تركتني!

أرخى قبضته قليلاً ولكنه قال:

ـ لا.. ما هذا بموضوع نقاشنا.. المسألة أنك تحاولين تجنب

www.liilas.com

الأمر، وهذا سخيف.. مثلاً: هل ستقولين لي غداً «لا، آسفة كيڤن، لا أستطيع الزواج بك؟».

ـ لم تمنحني خياراً آخر!

قال بوحشية ساخرة:

ـ ربما لأنني كنت أشك في هذا ولكنني أتساءل عن السبب؟

همست: «لأنك تعرف أن زواجنا أمر لا يناسبنا كلانا».

رد بسرعة: «بل أعرف العكس. أعرف أننا كنا منسجمين كثيراً وأعرف أنك عنيدة كثيراً».

تركها ليبعدها والسخط باد على وجهه، ثم أمسك معصميها بقبضة من فولاذ وقال:

ـ كنت متفهماً جداً ولكنني لن أكون متفهماً بعد اليوم.

وشدها إلى حضنه فاستلقت مرغمة وعيناها تبرقان غضباً.

قال عندما هدأت أنفاسها:

ـ حسناً.. أخبريني لماذا لن يكون الزواج مناسباً لنا؟ قولي لي ماذا ستفعلين بنفسك الآن؟ هل ستتقدمين بطلب نقل مستعجل إلى قسم وكالة السفر ثم تمرين من أمامي مطأطئة الرأس، وكأننا لا نعرف بعضنا بعضاً؟ أم تراك خططت أن تستمري في أن تكوني سكرتيرتي، وأن تقنعي بعناق سريع بين فصل إملاء وآخر؟

نظرت إليه دهشة تشعر بمد أحمر يرتفع من أسفل عنقها.. أغمضت عينيها، وتمنت لو يتلاشى التورد لكنه لم يتلاش بل راح يتغذى بالصور التي رسمها فزاد من امتقاع وجنتيها وجعلها تجهش بالبكاء.

ـ أنا.. أنا لا أكرهك.

ـ لا.. أنت لا تكرهينني.

وعرفت في لحظة ماذا يجب أن تفعل.. تلوت بين ذراعيه لكنه كان أقوى منها.. وشهقت.. تتمسك به بخوف وألم وارتباك.

قال عابساً بألم:

ـ أنا آسف.. لا تنظري إليّ هكذا.. عليك أنت من بين جميع الناس أن تعرفي طبعي السيء.

ضمها إليه يهدهدها بين ذراعيه حتى توقفت عن الارتجاف.. ثم لثم شعرها، يهدئ من روعها يبدين لطيفتين وبعد ذلك ضمها بحذر ورقة كأنها توشك أن تنكسر وأخيراً استرخت.. فاستسلمت لعناقه.

التقط يدها يشبك أصابعه بأصابعها ثم قال بصوت ملؤه توتر غريب:

ـ كيف لي أن أقنعك بأن الزواج مناسب لنا كلينا؟

اشتدت أصابعه على أصابعها:

ـ أعرف.. أعرف في ما تفكرين.. أولاً في عدم رغبتك في أن تكوني صوفيا أخرى بالنسبة لي.. وفي ديكسي، وربما في أشياء أخرى كثيرة، لم تخطر حتى ببالي.. ولكن هذا كله من الماضي الآن.. ألا ترين هذا؟

بعد ظهر اليوم التالي، نظرت ايريان إلى غرفتها بنظرة جديدة.. ولمَ لا؟ فأنا على وشك أن أجردها من الأثاث الآن، بعد أن وافقت على أن أصبح السيدة كيڤن تشايس.

سرت فيها ارتعاشة، وتمنت فجأة لو كان كيڤن معها الآن ليهدئ من روعها. ولكن كيڤن ذهب إلى العمل، وعاد إلى شقته ظهراً ليقول لها إنه مضطر للذهاب إلى ملبورن، إلى مركز الشركة المتعهدة المفلسة.. ولا يعرف كم من الوقت سيغيب. حاول إقناعها بالبقاء في الشقة.. سيتمكن على الأقل من الاتصال بها ولكنها رفضت.

قالت إنها ستضطر إلى إجراء ترتيبات بشأن شقتها وأثاثها.. وهذا أفضل وقت تقوم به بهذا.

www.liilas.com

أخيراً قال: «أقبل طالما لن تغيري رأيك. عديني!»

همست: «أعدك».

أقلّها إلى منزلها في طريقه إلى المطار أما آخر كلماته فكانت:

ـ أنت تفهمين.. أعرف أنني كنت عنيفاً معك ليلة أمس ولكنك تفهمين اضطراري للسفر، أليس كذلك؟

ـ أجل.. أفهم حقاً. لا تقلق.

عادت إلى حاضرها متنهدة، مفكرة.. عليّ أن أرمي ترددي كله وراء ظهري، لأنني لا أستطيع أن أتوقع منه البقاء قربي طوال الوقت.. ربما عليّ أن أفكر في كل شيء ملياً لأنه بعيد عني.

ألقت رأسها إلى الخلف وأغمضت عينيها، تفكر فجأة: لا أتوقع منه أن يحبني كما يحب ديكسي.. أعرف أن هذا أمر مختلف بالنسبة له.. ولكن هل سيكون ما بيننا مميزاً فينساها؟ حسناً.. لا. لا أظن هذا!

ولكنها في النهاية لم تستطع منع نفسها من التفكير في كل الأشياء التي لها علاقة بكيڤن وديكسي.. أكانت بينهما علاقة رغم زواجها ببولدن هيودجز؟ وهل سيكون موقفها كموقف بولدن هيودجز؟ وهل ستبقى على حبها لكيڤن تشايس إن استمرت علاقته بديكسي؟

قالت بصوت مرتفع:

ـ لكن الأمر أنني لا أصدق أنهما على علاقة.

وهذا ما دعاها إلى التساؤل لماذا لا تصدق؟

لم ينكر كيڤن هذا قط ولكنه لم يؤكده أيضاً.. لقد ترك الأمر لها لتقرر..

همست لنفسها: «ويبدو أنني قررت.. ربما في عقلي الباطني، لكن على أي حال لقد قررت..».

فتحت عينيها ونظرت إلى الغرفة. أنا أثق به، وقد وثقت

باستقامته طويلاً ولولا ثقتي به لما أحببته..

جلست تمد يدها إلى حفنة الرسائل التي تكدست في صندوقها في أثناء غيابها.. وجدت بينها رسالة من ميري غنية بالأخبار الجيدة.. لقد أصر أبواها على عودتها إلى المنزل لتبدأ حياتها من جديد. وتابعت تقول إنها شعرت بالحزن عندما عادت لتأخذ أغراضها فلم تجد ايريان ولكنها تمنت عليها أن تبقى على اتصال بها وأن تزورها وأهلها يوماً.. ثم أنهت: «لقد كنت أفضل صديقة لي».

ترقرقت عينا ايريان بالدموع فتمتمت: «الشيء ذاته ينطبق عليك ميري».. أرادت أن ترد على رسالتها فوراً ولكن أغراضها جميعاً موضبة في حقائب.

في الصباح التالي تلقت برقية من ملبورن يقول فيها كيڤن ببساطة: «مشتاق إليك.. كيڤن».

قرأتها مبتسمة وقلبها مفعم بالدفء والشجاعة. بعد ساعتين وصلتها برقية أخرى مع ساعي البريد ذاته الذي قال بمرح:

ـ قد يصبح هذا عادة! وقعي هنا، أرجوك.

ـ هذا ما يبدو.

لكنها كانت تفكر وهي توقع: ليس من كيڤن بالتأكيد؟

قرأت البرقية «الرجاء الاتصال بي فوراً إذا كان هذا ممكناً.. توماس.. ماكميهون كاسيدي وتشايس».

حدقت ايريان إلى صياغة البرقية، فاغرة فاها.

كان أول ما طرأ على بالها أن شيئاً ما أصاب كيڤن. ولكنها عادت فأدركت أنهم لن يتصلوا بها إن أصابه مكروه لأنهم لا يعرفون شيئاً، إلا إذ كان قد أخبر الآنسة توماس شيئاً. ولكنه لن يفعل ذلك، ليس وسط أزمة كالتي يمر بها. أنّبت نفسها قائلة: حسناً ثمة وسيلة واحدة لتعرفي.

قالت عبر الهاتف الموجود في آخر الشارع:

www.liilas.com

- آنسة توماس، أنا ايريان هارت.. وصلتني البرقية.

جاء صوت الآنسة توماس بلهفة:

- آه ايريان! يا فتاتي العزيزة.. أعتذر على البرقية فما زال أمامك أسبوع آخر من العطلة ولكن المسألة أننا في دوامة هنا.. والشيء الثاني أن السيد تشايس في ميلبورن.

سكتت قليلاً لتأخذ نفساً.. فكادت ايريان تقول إنها تعرف ولكنها عضت على لسانها في الوقت المناسب.

أضافت الآنسة توماس: «والآنسة برادلي، التي يجب أن أعترف أنها كانت تتدبر الأمور جيداً، أصيبت هذا الصباح بقيروس غريب فارتفعت حرارتها وكان أن اضطررنا إلى إرسال المسكينة إلى المنزل. أتأتين لمساعدتنا؟ فأنت تعرفين كل شيء هنا، لذا سيكون وجودك مهماً في هذا الوقت العصيب.. ولكن إن كان عندك خطط..».

وتلاشى صوتها.

لفت غابة من الأفكار عقل ايريان.. أيجب أن تذهب؟ هل سيعترض كيڤن؟ فهما لم يتباحثا مسألة استقالتها من عملها، لكنها افترضت أنها لن تعود.. تبادر إلى ذهنها أنها ستكون ذات فائدة مساعدة في مثل هذا الوضع.

قالت فوراً:

- آنسة توماس.. أنا آتية! أمهليني ساعة، أو ما يقاربها.

- شكراً كثيراً لك ايريان! أؤكد لك أن السيد تشايس سيكون شاكراً لك. المسألة أنه كان مسافراً أيضاً، وعاد بالأمس تاركاً لائحة طويلة من التعليمات التي لن يستطيع تفسيرها بسهولة غيرك.

حين وصلت ايريان إلى الشركة وجدت الآنسة توماس في المكتب الخارجي، تحاول تدبير الأمور، وقالت لها فور رؤيتها:

- سيكون السيد تشايس شاكراً لك آنسة هارت.

شعرت ايريان بشعور غريب وهي تتمتم شيئاً غامضاً رداً عليها.. فقد بدا لها هذا كله غريباً، ولكنها من جهة أخرى لم ترغب في شرح سبب تطور الأحداث الأخيرة حتى لنفسها.

تابعت الآنسة توماس كلامها:

- هذه ملاحظات الآنسة برادلي.. عليّ أن أعترف أنك تبدين في حالة رائعة ايريان!

- شكراً لك.. لقد.. سافرت ثم عدت.

- الغريب أن السيد تشايس اسمرّ لونه أيضاً، إنما لا أظنك تعلمين أنه أخذ إجازة مفاجئة.. وهذا أمر حسن، فقبل الميلاد فكرت في أنه بحاجة إلى عطلة.. من المؤسف أن هذا قد حدث.. لأنه أفسد كل ما كسبه في عطلته!

نظرت إلى ايريان نظرة تأنيب. ولكن رنين الهاتف أنجى ايريان من أي إحراج آخر. غرقت بدءاً من تلك اللحظة بالعمل الجاد وظلت الآنسة توماس معها ما يقرب الساعة، تراجع معها ملاحظات جوليا، تتابع تعليمات السيد ماكميهون الذي سافر إلى ميلبورن أيضاً.

قالت ايريان أخيراً: «حسناً، لقد فهمت.. المطلوب تقرير عن الانهيار على أن أنقل كل ما أحصل عليه إلى السيد برايت والسيد ماركوس.. وفي الوقت ذاته عليّ إخراج كل العقود وما شابه لأرسلها إلى مكتب المحاماة لدراستها من جديد».

لكن «ما شابه» أبقاها منهكة ما تبقى من اليوم، وعادت إلى العمل باكراً في اليوم التالي لإتمام العمل.

في العاشرة، رن جرس هاتفها.. ولم تكد ترفع السماعة حتى قال صاحب الصوت:

- جوليا؟ أنا كيڤن تشايس.. أيمكنك أن..

- كيڤن؟

www.liilas.com

سادت لحظات صمت ثم قال مستغرباً:

ـ ايريان؟

ـ أجل.. أين أنت؟

ـ في ميلبورن.. ماذا تفعلين هناك؟

ـ أنا.. جوليا مريضة، فاتصلت بي الآنسة توماس لتطلب مني المساعدة. أرجو ألا تعترض لأنهم كانوا في ورطة هنا.

قال بلهجة حادة:

ـ بكل تأكيد أعترض.. كان عليك استشارتي أولاً.

ـ لكنها لا تعرف شيئاً.. شكراً على البرقية.

سألها بلهجة رقيقة قليلاً:

ـ كيف حالك؟

ـ بخير.

ـ أنا آسف.. لم أقصد الصياح في وجهك.. ولكن لم أرغب في عودتك إلى ذلك الجو مجدداً، لئلا تثير فيك هذه العودة شكوكك.. فهل حدث هذا؟

ردت برقة:

ـ لا.. لا أستطيع التفكير فيك كرئيس لعملي مجدداً.

ـ لا تعرفين مدى سروري بسماع كلماتك هذه فلهذا ميزاته.

تبادلا الأحاديث مدة عشرين دقيقة أخبرته خلالها عن رسالة ميري، وعن العرض الذي تقدم به بائع المفروشات المستعملة وأخيراً تكلما عن العمل.

وقبل أن يقفل الخط قال:

ـ ستعتقدين أن هذا جنون مني ولكنني أحمد الله لأنك هناك.. على الأقل أعرف أنك قادرة على معالجة الأمور في المكتب.

ردت بوقار: «شكراً لك سيد تشايس».

وقهقها ضاحكين.

لكن هذا الدفء والضحك تلاشيا بعد بضع ساعات، على يد شقراء دخلت إلى المكتب كالعاصفة المرحة وهي ترتدي أجمل فستان حريري، وتنتعل حذاءً بنياً عالي الكعبين من جلد التمساح، وتحمل حقيبة مماثلة، وضعتها على طاولة ايريان كيفما اتفق وهي تقول:

ـ ما هذا الذي سمعته عن وجود كيڤن في ميلبورن؟

انتفضت ايريان فنظرت إليها المرأة نظرة عن قرب ثم ابتسمت بإشراق وومضت عيناها الزرقاوان:

ـ أعرف من أنت.. آسفة لأنني دخلت عليك هكذا، لكنني ظننتك في إجازة.. أنت الآنسة هارت.. أليس كذلك؟ لقد أخبرني كل شيء عنك.. حسناً، لقد أجبرته على هذا.. خاصة بعدما قال إنك صانعة ذلك الفستان الرائع الذي أخذه لمارجي في عيد الميلاد.. أنا شقيقته.

قالت مذهولة: «لقد ظننت.. كيف حالك؟»

ـ هل ظننتنا متشابهين؟

ـ ألن تجلسي سيدة؟.. السيد تشايس في ميلبورن في عمل.

ـ حسناً، سأجلس. الواقع أنني غاضبة. كان عليه الاتصال بي.. أعني، ليس الأمر غلطتي، ثم أن يدفع فيلمور ليقسم للحفاظ على السر.. ماذا يظنني؟

ـ أنا..

ـ لا تعرفين أبداً عما أتكلم. المشهور عني أنني أزج أنفي في ما لا يعنيني.. لكن على أي حال، أنا لورنا.. لورنا هيودجز إنما رجاء ناديني لورنا. على أي حال لدينا اهتمامات قلبية مشتركة.. كيف حال رئيسك؟ هل يبدو.. طبيعياً لك؟

ردت بعجز: «أنا.. أنا.. أجل».

بدت لورنا كئيبة، ثم ابتسمت ابتسامتها الدافئة الجميلة مجدداً:

www.liilas.com

ـ على فكرة.. يجب أن أشكرك على الحقيبة التي أهداني إياها في عيد الميلاد. لقد اعترف لي أنك أنت اشتريتها.. أما فستان مارجي فسررنا به جميعاً بمن في ذلك ديكسي التي قابلتها بلا ريب. إنها زوجة شقيق زوجي.. ديكسي هيودجز.. ديكسي تتوقع مولودها أن يكون فتاة وقد سألت تشايس إن كان بالإمكان أن تفكري في خياطة فستان لعمادتها.. فهل سألك؟

ـ لا.. لكن..

ـ لم يكن لديه الوقت على ما أظن.

وقفت، لكن الباب الخارجي انفتح ودخلت الآنسة توماس، فصاحت لورنا هيودجز صيحة فرح، واندفعت تعانقها، قائلة:

ـ تومي.. أخبروني أنك لن تعودي قبل ساعات!

ـ لقد عدت، وعلمت أنك سألت عني.

قالت لورنا: «أنا قلقة على كيڤن.. مع أن الآنسة هارت تقول إنه يبدو طبيعياً ولكنك تعرفين مدى براعته في التخفي.. ما الأمر؟»

قالت الآنسة توماس: «لا شيء».

لكنها رمت نحو ايريان نظرة عبوس.. ثم أضافت:

ـ هل ندخل إلى مكتب كيڤن؟ واثقة أن ايريان ستعذرنا.

رافقت لورنا هيودجز إلى المكتب ثم أغلقت الباب.

حدقت ايريان إلى الباب بقلب خافق. ولم يكن السبب أن ما ستفعله غير أخلاقي.. مع ذلك سارت على السجادة حتى وقفت قرب الباب، ساعدها صوت لورنا المرتفع على السماع بوضوح.

كانت لورنا هيودجز تقول باشمئزاز:

ـ كانت الفكرة فكرة برايان قلت له إنها فكرة مجنونة، لكنه قال إن الأمر بدأ منذ مدة، وإن بولدن شقيقه، وإنه تعب من انفصام عرى العائلة.. هذا بسبب ديكسي التي هي الشخص الوحيد الباقي من أسرة كاسيدي ولكنها لا تعرف ما تقرر. تعرفين برايان.. بارد جداً!

إنه يؤمن بأن على العائلات أن تلتحم، وأنا أوافقه الرأي وأوافقه أن الوضع مربك مع الأولاد.. ألا يحب كيڤن وعمي بولدن بعضهما بعضاً؟ لماذا؟

تمتمت الآنسة توماس شيئاً، وتابعت لورنا:

ـ ولكن ما أغضبني أن يدعو الجميع ليوم الميلاد ويرفض السماح لي بأن أنذر كيڤن.. أترين ما أصعب المسألة؟

قالت الآنسة توماس: «نعم، كانت مسألة صعبة».

ـ لا، لم يكن الأمر صعباً لأنهما تصرفا بشكل رائع. لقد أجبرا نفسيهما على التصرف وكأن لا شيء بينهما.. ولقد تحدثا طويلاً.. تحدث بولدن وكيڤن عن تمويل شيء ما.. أما ديكسي فتعرفين تأثيرها في الجميع.. والآن هي حامل.. لكن كيڤن غادر باكراً وعندما خرجت أودعه بدا لي متعباً حتى الموت.. ثم اختفى في اليوم التالي! لكنه لم يكن يخطط للاستمرار في العطلة، لقد تمكنت من انتزاع الخبر من فيلمور على الأقل.

ـ لا.

ـ ولهذا أنا قلقة.. أتعرفين ما أتمناه حقاً؟ أتمنى لو يقع في حب عاصف مجنون مع فتاة أخرى.. أية فتاة! سأرحب بها حتى وإن كانت عيناها مربعتين ووجهها وجه غراب!

ـ لا.. لن تفعلي هذا.. كما أننا لا نريد منه أن يقدم على أي قرار متسرع.

ـ ماذا تقصدين؟

ـ أظن أن برايان على حق.

ـ لكن...

ـ لا.. ما أقصده أن ديكسي اتخذت قرارها أخيراً، وقد عرف كيڤن هذا. كما عرف أن الوقت أزف ليعيش مع الواقع. لكنها لا شك فترة خطيرة.. فترة ردة فعل.

www.liilas.com

ألصقت ايريان رأسها بالباب، ثم ابتعدت بهدوء.

انشغلت في فترة بعد الظهر بحيث لم يتسن لها التفكير مع أنها فكرت في أن ديكسي هيودجز تذكرها بالدمى الروسية، ما إن تفتح واحدة، حتى تجد الأخرى داخلها، ثم أخرى.

عندما عادت إلى منزلها، جلست على أريكتها تشعر بالإرهاق ولكن إرهاقها لم يمنعها من التفكير.

حسناً.. فهمت الآن.. مع ذلك قررت المضي قدماً في تجربة الزواج. ليس فقط لأنها تحبه وتثق به بل من أجل هذه الأشياء ولأن من الأفضل أن تكون من تحبه هي المتفهمة لوضعه.

ظلت فترة طويلة مستلقية تنظر إلى السقف، وصور عديدة بذهنها. إحداها عن يوم الميلاد.. كم كانت أخته على حق.. إنه بارع في إخفاء كل شيء.. أو ربما كنت أنا غارقة في بؤسي كثيراً، بحيث لم أبحث عن الحقيقة.. ولكنها عرفت دوماً بأنها مميزة بالنسبة له.

ثم خطرت ببالها فكرة جديدة.. أو ربما لم تكن جديدة.. ربما كانت موجودة طوال الوقت، ووجدت الآن الشكل وأعادت لها الذكريات عن فتاة خجول كثيراً، وساذجة.. إنها ابنة مدبرة المنزل.. إنهم مختلفون. أسر: تشايس، كاسيدي، وماكمبهون.. لديهم ثقة بالنفس، رسختها السنوات والثراء. أشعر أحياناً وكأنهم جنس مختلف عن جنس فتاة لا أهل لها أو جذور. أشعر بأنني غريبة ودخيلة تنظر من الخارج، مذهولة، ولكنني أعرف أنني لست منهم.. إنها القصة القديمة نفسها..

أغمضت عينيها.. فغمرها شوق يائس إلى كيڤن. إنها تريد أن تكون قربه لتشفي نفسه، ولتنزع الألم منه. «أم لا أنزع ألمي؟»

ذهبت إلى العمل باكراً في اليوم التالي. كان هناك أمل في عودة جوليا.. فالواضح أن الڤيروس من النوع الذي لا يدوم أكثر من أربع وعشرين ساعة، ووجدت ايريان نفسها تأمل بشدة عودتها. إن كيڤن

على حق، لقد أخطأت في عودتها إلى العمل.

وصلت قبل ساعة من الموعد المعتاد على أمل تسليم جوليا زمام العمل ثم المغادرة. فوجدت رسالة في البريد من ملبورن مرسلة إليها شخصياً.. عرفت خط كيڤن ففتحتها بأصابع مرتعشة، ثم قرأتها مبتسمة:

«عزيزتي ايريان.. أرجو أن تصلك هذه لا إلى جوليا.. ليس لأن هناك ما يحول دون أن تعرف، ولكنني لا أريد أن أصدمها بمشاعري الخاصة.. كيف حالك؟ أنا الآن على وشك النوم إنما بعدما أنهي ما أمامي.. لدي سكرتيرة أمنها لي الفندق، تقف قربي وتنظر إليّ غير موافقة.. لا أفهم التأثير الذي أنزله بالسكرتيرات! أنا متعب ومتوتر، ووحيد.. ليتك كنت معي. لكن الأخبار الجيدة أني أتوقع العودة بعد غد. كان هذا العمل ويا لسوء الحظ كارثة وقد يصدم أشخاصاً عدة في الشركة.. وهذا أمر سيء، لأنه سيخلف الكثير من الأعمال لي.. في الوقت الذي كل ما أريده حقاً، هو أن أختطفك بعيداً في شهر عسل.. أين تودين الذهاب؟ فكري في هذا لأننا سنسافر في أسرع وقت ممكن.. يجب أن أنهي رسالتي الآن وإلا خرجت «ضابطة النظام» وتخلت عني. أعتقد أنها تشعر بأن ما أكتبه خارج عن إطار العمل إنما آمل ألا تتمكن من قراءة أفكاري فكل ما أفكر هو أن تضمك ذراعي بقوة. وأخيراً لك حبي.

كيڤن»

طوت الرسالة بهدوء ودستها في جيبها، ثم رفعت رأسها قرأت ناتانيال ماكمبهون واقفاً في الباب.

قالت: «لقد عدت».

استقام في وقفته، وتقدم إلى مكتبها ليجلس على حافته.

ـ أجل.. وسمعت أنك عدت أيضاً.

التقط سكين تقطيع الورق وأخذ يقلبها بين أصابعه.. نظرت

www.liilas.com

ايريان إلى السكينة، ثم نظرت إليه، وعرفت لماذا اقشعر جسمها، ففي عينيه البنيتين اللتين نفرت منهما دائماً، حقد وانتصار.. فضمت يديها متوترة..

قال وهو يتلاعب بالسكين:

ـ وسمعت أشياء كثيرة أيضاً.. سمعت أن رئيسك الكبير انكب على وجهه أخيراً.. مثلاً.

ـ ما قصدك؟

هز كتفيه:

ـ أليس الأمر معروفاً؟ أجاد كيڤن الخداع، أقصد أنه ركز كل مشروع مركز التسوق على شركة توشك أن تفلس.. وهذه غلطة فادحة منه. بالمناسبة أما زلت متعلقة به؟

فتحت ايريان شفتيها ولكنه لم يمهلها فرصة لتتكلم، فوقف:

ـ وهناك أمر آخر.. خلال رحلتي أعدت تجديد صداقة مع زميل لي من أيام الدراسة.. إنه أصغر مني بقليل ولكن حين التقيته صدفة في «ثارغوميندا» دعاني إلى مزرعته للإقامة بضعة أيام.. حسناً، الصبيان يبقون دائماً صبياناً فكان أن رحنا نقص أخبار تجاربنا.

صمت وهو يلوي شفتيه، ثم قال:

ـ هذا ليس بالأمر العجيب حقاً، أليس كذلك ايريان؟ ليس وأنا أذكر فتاة خضراء العينين صهباء الشعر اسمها ايريان هارت؟ أتساءل، ماذا سيظن بك كيڤن لو عرف حقيقة أمرك؟

فتحت عينيها وشفتيها معاً ولكن نات قاطعها مجدداً:

ـ ولماذا التوقف عند كيڤن؟ أنا واثق أن كثير من الناس سيجدون قصتك موضوعاً شيقاً للنقاش.

أخيراً تمكنت من الكلام وإن بصعوبة: «لن تفعل هذا».

ضحك نات ماكميهون: «ومن يمنعني؟ اسمعي إن أثرت

أعصابي مجدداً يا ايريان فقد أجد نفسي مضطراً.. فهل فهمت؟»

طافت عيناه البنيتان بها من رأسها إلى أخمص قدميها بشكل له معنى فأرادت أن تقف وتصيح في وجهه أن يفعل ما يشاء لأنه لن يستطيع أذيتها وأنها لن تذعن لنواياه الخبيثة حتى ولو هددها بفضح ماضيها.

لكنها لم تقل شيئاً.. وعوضاً عن ذلك وجدت أنها تفكر في أمر قاله لها كيڤن. لقد قال لها إن الرجال ليسوا جميعهم مهذبين، وإنها قد تتألم يوماً كثيراً. وكان على حق، فهذا بالضبط ما يفكر فيه ناتانيال ماكميهون.. لقد اتخذت منه عدواً شرساً عندما حطمت غروره وجعلته يبدو غبياً.. أما جوك دينڤر فلم يتوقف قط عن تلفيق الأكاذيب عني، كما أن الأيام حطمت شيئاً من غروره وضميره أيضاً لكنني كنت على حق عندما قلت لكيڤن إنني سرقت شيئاً أثمن من الأواني الفضية.. وإن نات قادر على أذيتي. فماذا سيفعل إن أصبحت السيدة كيڤن تشايس؟ لا ريب أنه سيكرهني أضعافاً مضاعفة وأنه سيعمد إلى استغلال ماضي ليؤذي كيڤن.

ـ ايريان؟

رفعت بصرها بدون أن تراه.. فأضاف: «هل فهمت؟»

ـ أجل.. أظن هذا.

ـ حسناً! أراك فيما بعد إذن.

* * *

بعد ساعة اتصلت ايريان تسأل:

ـ آنسة توماس.. هل لي أن أراك؟

ـ بالتأكيد تعالي.

دخلت ايريان إلى مكتب الآنسة توماس وراحت تنظر حولها مفكرة: هنا بدأ كل شيء.

www.liilas.com

قالت الآنسة: «اجلسي ايريان.. أردت أن أسألك إن كنت ستسلمين الآنسة برادلي العمل ليتسنى لك أخذ ما تبقى لك من عطلة أم تراك تفضلين البقاء في أثناء هذه الأزمة السيئة على أن تأخذي العطلة في وقت لاحق؟».

ـ آنسة توماس.. هل السيد تشايس.. أعني ماذا حدث؟ هل سيلام السيد تشايس على هذا؟

طافت عينا المرأة بها ثم عبست قائلة:

ـ لا شأن لي أو لك بهذا ايريان.

ـ أعرف، لكنني لم أستطع منع نفسي من التساؤل.

فكرت الآنسة طويلاً:

ـ لدي إيمان مطلق بقدرات السيد تشايس.. وظننتك مؤمنة بها أيضاً.

ـ هذا صحيح لكن هل ستسبب له هذه المشكلة بعض المتاعب، بعض الخلافات مع مجلس الإدارة؟

ـ هذا ممكن ولكن ما أهمية هذا لك، ايريان؟

ـ لا شيء، كنت أتساءل فقط آنسة توماس.. أردت رؤيتك لأخبرك برغبتي في الاستقالة. لقد سلمت كل العمل لجوليا فأنا أراها قادرة على تولي الأمور.. إنها ذكية، مع أنني ظننتك أخطأت في اختيارها.

حاولت الابتسام، لكنها لم تنجح، خاصة والآنسة توماس تحدق إليها بحدة.. فكرت: إنها تعرف.. لقد جمعت واحد زائد واحد فحصلت على النتيجة.. لكنني من فضحت نفسي حين قلت للورنا هيودجز إن كيڤن على ما يرام.. إذ كيف لي أن أعرف بأنه على ما يرام ما دمنا نقضي العطلة منفصلين.

سألت الآنسة توماس:

ـ ايريان.. هل أنت قلقة على وظيفتك بسبب الأزمة؟

ـ أنا.. أنا.. لا.

ـ إذن، لا بد من سبب لاتخاذك هذا القرار المفاجيء وسط الأزمة.

ابتلعت ريقها بصعوبة «لن أتركم تتخبطون وسط الأزمة فهناك جوليا التي قلت بنفسك إنها ماهرة».

ـ مهما كان الحال.. سيعتقد السيد تشايس أنك تركته وسط أزمته.

تمتمت ايريان: «لدي أسباب شخصية تدفعني إلى ذلك».

ـ أسباب عائلية؟

ـ أنا.. أجل.

ـ لا أعرف أن لك عائلة، ايريان.

يا إلهي.. لماذا لم أغادر المكان أصلاً؟

قالت الآنسة مردفة:

ـ أتراك ارتكبت ما حذرتك منه مع أنك أكدت لي أنك لست كالأخريات؟.

نظرت ايريان عبر الزجاج النصفي الفاصل إلى قسم المحاسبة، والطباعة، وإلى قسم شؤون الموظفين فوجدت جميع الأقسام صامتة كما لم تكن يوماً. كان هناك أشخاص يتجولون كالعادة لكنها لم تستطع سماعهم.

سألتها متألمة:

ـ كيف.. عرفت؟

ـ لم أكن أعرف.. لقد عنَّ لي الأمر ليلة حفل الميلاد، في الواقع راقبتك وأنت ترقصين معه فرأيت الشرارات المطلة من عينيك.. فجأة خطر ببالي أن السيد... أن كيڤن أخذ عطلة تتوافق مع عطلتك.. هل سمعت ما قالته لي أخته بالأمس؟

ـ أجل.. أنصت إلى حديثكما من وراء الباب.

www.liilas.com

- عرفت ذلك.

همست ايريان: «أنا آسفة.. آسفة جداً».

- كنت سأفعل ما فعلته.

اتسعت عينا ايريان، وابتسمت الآنسة توماس:

- في الواقع، قد لا تعرفين هذا ولكنني مررت بالتجربة ذاتها مع والده. وقعت في حبه بعجز ولكنه كان مغرماً بأم كيڤن ولورنا أكثر.. وظل على حبها حتى يوم مماته.

تمتمت ايريان: «ظننت.. ظننت.. أعني.. أن هناك قصة تدور على الألسن..»

- حقاً؟ نعم ثمة قصة. إنه ضعفي العاطفي الوحيد الذي عملت من أجله وقتاً طويلاً، حين علم بموعد عيد ميلادي راح يرسل لي وروداً بلون الزهر كل سنة.

- وهل عرف؟

- أظنه عرف في النهاية.. كنا على علاقة أفلاطونية عذرية تقريباً.

رفرفت ايريان عينيها عدة مرات، ثم أطرقت رأسها وأجهشت بالبكاء.

قالت الآنسة: «عليك ألا تشفقي عليَّ عزيزتي».

تابعت ايريان البكاء:

- لم أستطع منع نفسي.

- يجب ألا تشبهي وضعك بوضعي.. ربما فيهما بعض التشابه لكن..

قاطعتها بمرارة: «بعض؟ أنت تعرفين ما يشعر به تجاه ديكسي هيودجز.. فإن لم يستطع الحصول عليها، فهذا لا يعني أن يتوقف عن الرغبة فيها. قلت لي إنه يشبه والده».

- ايريان..

- إنما ليس هذا كل شيء.. وأظن أن لورنا حللت الأمر تحليلاً جيداً بالأمس.. أشعر وأنا في صحبتهم بأنني مربعة العينين أشبه الغراب.

احتجت الآنسة بحدة: «هذا كلام هراء».

ابتسمت ايريان بضعف: «أهو هراء حقاً؟».

- ايريان أخبريني ما حصل بينكما.

أغمضت عينيها قليلاً.

- لقد طلب مني الزواج. أترين؟ قصد بيتي ليلة الميلاد ولكنني لم أعرف بما جرى إلا بعد وقت.

صمتت الآنسة توماس طويلاً، ثم قالت:

- ما دام قد طلب يدك للزواج فعليك ألا تأخذي بالاعتبار ما سمعته فما قالته لورنا هو تحليلها الخاص للأمور وعليك أن تحللي الأمر بمفردك ايريان.

قالت مرتجفة: «لقد قمت بالتحليل اللازم فكان أسوأ من تحليل لورنا. لدي معلومات في الموضوع لا تعرفينها أنت ولا شقيقته».

نظرت الآنسة توماس إليها، وحاولت الكلام لكنها غيرت رأيها، فقالت: إذن ستهربين منه.. أهذا برأيك إنصاف له؟

- نعم إنه الإنصاف عينه. يجب أن تعرفي أنه من المستحيل إقناع كيڤن بالعدول عما قد عزم عليه.

- لكنه طلبك للزواج وهذا يعني أن له أعذاره، أعرف أنني كنت أتكلم عن مروره بمرحلة ردة فعل ولكنني نادمة الآن على ما قلته.. إذ لا أتصوره يعاني من ردة فعل كما لا أتصوره يعبث بحياتك لمجرد نزوة.. أليس هذا رأيك أيضاً؟

- نعم أظنه يخطط إلى جعلي «شغل» حياته الشاغل وأعلم أنه

www.liilas.com

سيقف إلى جانبي مهما كان الثمن.. فهل ترغبين في أن تكوني في هذا الموقف؟ أو أن تري حبيباً فيه؟

***

٨ ـ كيف عدت يا عيد؟

ـ ستكلفك هذه خمسين سنتاً حبيبتي.. ولكنها برتقالات من أجود أنواع البرتقال.

ألقت ابريان تحية المساء على صاحب الدكان اليوناني الذي لا يحب شيئاً أكثر من التحدث إلى زبائنه عن فاكهته فتكونت في أنه على الأرجح أشد وحدة منها.

. عادت إلى المنزل ببطء سالكة شارع منحدر في مساء سيدني، كارهة الذهاب إلى المنزل، إلى شقتها الجديدة المفروشة بأثاث غير شخصي، في بناء قديم معتنى به جيداً، حيث معظم المستأجرين من الطاعنين في السن الذين يرتابون في الوجوه الصغيرة.

في الأشهر الأخيرة وبالتحديد منذ فرارها من بريزبن، توصلت إلى استنتاج بأن أناساً كثيرين في سيدني يعيشون في وحدة وربما هذا سائغ في معظم المدن الكبيرة، مع ذلك فالأمر يخيف ابريان دائماً، لأن الناس في حركة دائمة.

ربما أنا فتاة ريفية في القلب أكثر مما ظننت.. أو ربما بريزبن هي الحجم الملائم لمدينة، لأنها لم تكن تخيفني كما تخيفني سيدني.. أو ربما..

لكنها كانت تحاول دائماً قطع أفكارها عند هذه النقطة، لئلا تتذكر ذلك اليوم المخيف في بريزبن، ولئلا تفكر في الآنسة توماس التي توسلت إليها ألا تستعجل في الرحيل.. وكأنما الموافقة على

www.liilas.com

زواجها بكيڤن ليس أمراً مستعجلاً. تذكر كيف أصرت الآنسة توماس على طبع كتاب توصية خاص لها بيدها، وكانت عملية بطيئة معذبة، أو هكذا بدت لإيريان التي كانت تخشى بائسة أن يتصل كيڤن ولعل هذا ما كانت تأمله الآنسة توماس.

لكنها في النهاية نجت.. لم ترد القبول بكتاب التوصية ولكن الآنسة توماس أصرّت وقالت لها:

ـ استخدميه إن احتجت إليه فلا يسهل إيجاد الوظائف خاصة إن لم تظهري ما يدل على امتلاكك للخبرة

ما إن عادت يومذاك إلى المنزل حتى اتصلت بتاجر الأثاث البالي، وتوسلت إليه ليأتي ويأخذ الأثاث ذلك الصباح بالذات، وبالثمن الذي عرضه.. لماذا بحق الله، حين كانت تخطط للزواج بكيڤن اهتمت بالحصول على المزيد من الدولارات من تاجر الأثاث هذا؟ ثم ضحكت، وبكت...

لكن ما إن حلت الساعة السادسة في ذلك المساء حتى كانت على متن القطار المتجه جنوباً نحو سيدني.. بل الله أعلم إلى أين كان يتوجه فهذا لم يعدْ مهماً كثيراً. كانت تحمل كتبها فقط، وثيابها، وتشارلي المخبأ في أعماق عربة المتاع وسط صناديق القطط وأقفاص الكلاب.. أوه تشارلي.. يا لفظاعة ما أقوم به معك!

أمضت اليوم التالي في «بيبول بالاس» في سيدني كئيبة حزينة ولكن في الصباح التالي استعادت رباطة جأشها، وما إن حل المساء حتى وجدت غرفة في منزل مشترك.

في الأشهر التالية عملت نادلة كما عملت أعمالاً يدوية أخرى لأنها رفضت العيش على مدخراتها كما رفضت استخدام كتاب التوصية أطول مدة ممكنة.

كانت أشهراً مريرة من عدة أوجه. أشهر تساؤل، وسط أغرب

مشاعر الوحدة التي حبرتها يوماً. في الواقع لم تكن تستطيع التفكير في شيئين أثناء هذه الأشهر، مع أن الشيء الثاني كان حلواً مراً. لكن التفسير الوحيد الذي أوضح لها سبب عدم قدرة تشارلي على التحدث أبهجها. حين أرخى الشتاء قبضته قرأت مقالاً قصيراً في جريدة.. تقول المقالة إن مديراً مسؤولاً في شركة مقاولات كبيرة أساسها في ميلبورن قدم إلى المحاكمة بتهمة الاحتيال والاختلاس الأمر الذي ساهم مباشرة في انهيار الشركة.

تعرفت ايريان إلى الاسم وإلى اسم الشركة وحمدت الله شاكرة.. لن يلوموا كيڤن على هذا ولكنني عرفت أن هناك تفسيراً من هذا القبيل! بعدما قرأت هذا المقال اتخذت قراراً آلا وهو البحث عن وظيفة أخرى وعن طريقة عيش أفضل من هذه.

الوظيفة التي وجدتها كانت في مؤسسة محاسبة بعدما استخدمت على مضض كتاب التوصية الذي كان معها. وربما كان هذا الكتاب هو صلتها الوحيدة بكيڤن، ولا ريب أن هذا ما قصدته الآنسة توماس فهذا الكتاب هو سبيل ليتقفى آثارها، وكانت صادقة فاعترفت لنفسها بأنها في أعماق قلبها تريد منه بائسة أن يقدم على شيء كهذا. وكانت آخر بذرة أمل لها، لكنها لم تستطع ربطها بأي منطق في العالم..

بعد شهر من هذا جفت البذرة وماتت ولكنها لم تبك عليها، انتقلت إلى شقتها الجديدة المريحة.. وأذهلها أن تعطي تلك البذرة شهراً، أو أن تسمح لنفسها بالشك في أن المؤسسة التي تعمل فيها، لم تتحقق من كتاب التوصية.

عاد الصيف الآن.. كانت «اليزابيث باي» دافئة عطرة في هذه الأمسية. توقفت ايريان لتسحب أنفاساً عميقة وهي مغمضة عينيها.. إن استطعت النجاح غداً كان ذلك الامتحان الحقيقي..

توجهت إلى الشارع الذي يقع فيه مجمعها السكني.

تعمل عادة يوم السبت نصف نهار. في الواحدة خرجت إلى شارع «ماكوايري» وسحبت نفساً عميقاً وبدأت السير على غير هوادة، لأنها تعرف أن لا مجال للعودة إلى منزلها.

ووجدت أنها في «دومين» مع أنها لا تتذكر أنها قطعت شارعاً.. تابعت المسير مارة بمعرض الفنون ثم دخلت إلى حدائق «بوتانك». بدا لها السير الطريقة الوحيدة لكبح بحر من البؤس.

لم يكن في الحدائق عدد كبير من الناس.. سارت نحو جدار الخليج الحجري.. وارتجفت فجأة، فالشمس اختفت وراء غيمة ربيعية ألقت فوق سيدني ضوءاً أزرق.

سحبت نفساً عميقاً.. لكن الدموع تدفقت على أي حال.. فمسحتها بيدها غاضبة، وارتدت على عقبيها تسير مجدداً، ولكن بعد خطوة أو خطوتين، وقف رجل طويل، ذو شعر أسود، وعينين زرقاوين أمامها فحدقت إليه عبر سحابة من الدموع.

قالت بصوت كسير: «كيڤن.. لقد أتيت».

رد بهدوء: «أجل.. عيد ميلاد سعيد ايريان».

وضعت وجهها بين يديها وراحت تبكي: «حاولت تناسيه».

ـ بسببي؟

ـ بل بسبب غبائي.

رد وهو يأخذها بين ذراعيه:

ـ أوه.. لا.. أنت أبعد ما تكونين عن الغباء.. لا تبكي.

وجذب جسمها المرتعش إليه.

ـ بل أنا بلهاء.. ما كان عليّ أن أدعك تجدني.. آسفة.. لكنني لا أستطيع التوقف عن حبك.

ـ لست مضطرة.. وليتك تصغين إليّ لأجعلك تفهمين.

ـ أفهم.. هذه هي المشكلة.. كيف..

ـ انتظرتك خارج مكتبك ثم لحقت بك.

رفعت رأسها، فشد ذراعيه حولها.. ودوّى قصف رعد عظيم، تبعه برق شديد.. فدفنت وجهها في كتفه، وتعلقت به في الوقت الذي كان البرق يشق أجواء الفضاء مجدداً، وكان أن فتحت السماء أبوابها فانهمرت الأمطار بغزارة.

قال بإلحاح: «تعالي».

ركضا صعوداً في الممر ليمرا بدار الأوبرا، ثم نزولاً.

قال هامساً:

ـ المسافة غير بعيدة للوصول إلى فندقي.. أتظنين أن بإمكانك الوصول؟ لا أظن أن هناك سيارة أجرة قد تقلنا، فنحن غارقان بالماء.. أم ترغبين في الالتجاء إلى مكان ما؟

قالت مذعورة، ونور البرق الأزرق ينير الشارع:

ـ أنا.. لا.. أريد الخروج من هنا.

لم يكن الفندق بعيداً. كان بهوه جنة خفيفة الإضاءة، هرع حارس الباب الذي يعرف كيڤن جيداً يستقبله بالمظلة:

ـ سيد تشايس.. أين كنت؟

ـ كنت أتمشى.. هلا أحضرت لي مفتاحي؟ لا أريد أن أبلل البهو ما أمكنني إلى ذلك.

لم تسنح لإيريان فرصة التقاط أنفاسها حتى أقفل باب الجناح خلفهما.. ثم لما اتجه كيڤن ليقفل الستائر، نظرت إلى نفسها وشهقت.. فستانها الجميل الأخضر الربيعي التصق بقدها وكأنه بشرة ثانية.

رفعت عينين مذعورتين: «يا إلهي، كيف أبدو؟!»

قال كيڤن: «مذهلة.. ولماذا أسرعت بك إلى هنا؟ كنت ستتسببين بشغب».

تورد وجهها بشدة، فضحك برقة وأخذها بيدها إلى الحمام.

ـ أمامك أمر واحد تفعلينه.. اخلعي ملابسك واستحمي.

منتديات لملاس الثقافية www.liilas.com

ـ لكن، ليس معي شيء..

ـ في الحمام روب وراء الباب.. هيا اذهبي قبل أن تتجمدي.

كان على الروب الذي ارتقته بعد حمام سريع شعار الفندق وكان الكمان طويلين فاضطرت إلى طيهما، ونظرت إلى نفسها في المرآة لحظات. ما زال شعرها رطباً متجعداً وبدت عيناها شديدتي الاخضرار في وجهها الشاحب البيضاوي.

لكنها أقنعت نفسها أخيراً بترك الحمام، وفي الخارج وجدت كيڤن قد غير ملابسه، وارتدى روبه وكان قد طلب شاي بعد الظهر مع البسكويت والسندويشات التي وضعت على طاولة متحركة وكان قد أقفل أيضاً ستائر غرفة النوم وأطفأ المصابيح كي تشع الغرفة الفاخرة بنعومة.

قال وهو يلتفت إليها:

ـ هكذا أفضل. أتشعرين بالدفء؟

ـ أجل.

ـ تعالي إلى هنا.

اهتز صوتها:

ـ كيڤن..

قاطعها مبتسماً ابتسامة مشرقة:

ـ لم تتح لي الفرصة لأتمنى لك عيد ميلاد سعيد.. عيد ميلادك دائماً مناسبة مؤلمة.. أليس كذلك؟ كيف حالك؟

أمسك يديها المنقبضتين في يديه، فهمست:

ـ أنا.. بخير.

لكن عينيها الخضراوين كانتا مرتبكتين متألمتين.

ـ أتتساءلين لماذا تأخرت في المجيء؟

لعقت شفتيها وارتجفت..

أضاف: «كنت في أميركا في رحلة عمل.. أخرت سفري قدر

المستطاع وقد اختارت حليفتي المؤتمنة الآنسة توماس هذا الوقت لتقع وتكسر وركها.. فكان أن تغيبت شهراً».

جرها إلى ما بين ذراعيه:

ـ أشكر الله لأن كتاب التوصية وصل إلى جوليا التي وضعت مذكرة لي عنه حين عدت.. عديني بشيء واحد ايريان، عديني بألا تهربي مني مرة أخرى مهما حدث.

ازداد تمسكه بها بشدة حتى كادت تعجز عن التنفس.

فيما بعد قالت باكية:

ـ فكرت في أنه أفضل حل وما زلت..

ـ لا تفهمين.. أليس كذلك.. أنا لا ألومك.. فهل تسمحين لي بشرح قصتي مع ديكسي؟

حاولت ألا تنتفض ولكنها انتفضت:

ـ اسمعي، لماذا لا تصعدين إلى الفراش؟ سأصب لك فنجان شاي.

جلست في الفراش تحتسي الشاي وعيناها حذرتان قلقتان.

قال أخيراً: أعتقد، أن ديكسي هي أفضل ما أبدأ به، مع أن أمامنا أموراً أخرى نتباحثها. كنت على حق عندما افترضت أنني طلبتك للزواج على الرغم من بقائي على حبي لها أو فلنقل إنني ظننت أنني أحبها.

تكور فمه متجهماً لحظة، ثم أردف:

ـ كما كنت على حق في ما يتعلق بما قالته لورنا، وما إلى ذلك.. أجل لقد أخبرتني تومي كل شيء.. ولكن، ما لم يكن يعرفه أحد هو أنني في اللحظة التي علمت فيها بأنني قد لا أجدك.. تأكدت أنني كنت أحب المرأة الغلط.. وأنه في الوقت الذي كانت فيه ديكسي مصدر إحباطي الأكبر كنت أنت مصدر فرحي الأكبر، وأنك أعطيتني أكثر من السعادة وأكثر من الحب المتفهم. وأن ما

www.liilas.com

أعطيتيه لم يكن مجرد اهتمام. وأن القلق والإحساس بالذنب، كادا يدفعانني إلى الجنون، بسبب إحساسي بخسارة حبي العظيم.

ـ كيفن.. لست مضطراً..

ـ بلى.. أنا مضطر. يجب أن أحاول شرح سبب عدم فهمي لمشاعري حتى وقت متأخر.. ولماذا ارتكبت ما لا يغتفر أو ينتسى باتخاذي امرأة أخرى لأنسى ديكسي.. أظن أن كل شيء ابتدأ بسبب الدلال الذي نعمت به بشكل مفرط فكل ما أردته في حياتي حصلت عليه.. أوه.. نعم لم أحصل على كل شيء على طبق من فضة ولكنني عملت من أجل الحصول على أشياء كثيرة. قال لي أبي قبلاً إنه من غير العدل أن أتوقع الحلول مكانه بدون أن أبرهن عن قدراتي.. لذا انطلقت أثبت نفسي. سافرت إلى انكلترا وحصلت على درجة جامعية تؤهلني الحصول على وظيفة جيدة في شركة اقتصادية أوروبية، فكان أن وصلت إلى مجلس الإدارة بجهودي وحدها.. عندما عدت إلى البلاد طلب مني أن أترأس لجنة برلمانية لدراسة تأثير السوق الأوروبية المشتركة على قطاع الزراعة في أوستراليا، وحصلت على مركز إدارة لشركة مالية..

صمت قليلاً ليرتشف رشفة من الشاي ثم أضاف:

ـ استطعت بسبب مؤهلاتي الحلول محل أبي حيث عملت على شركة «ماكميهون، كاسيدي، وتشايس» لتصبح الشركة التي تأخذ مكانها بجدارة إلى جانب مثيلاتها من الشركات الكبرى القديمة. استطعت الحصول على كل شيء إلا ديكسي.

تمتمت ايريان: «إلا ديكسي».

ـ إلا ديكسي التي تركتها تتسلل من بين أصابعي، وخسرتها. حين سافرت إلى ما وراء البحار أردت منها أن تسافر معي، وأردت أن نتزوج. كنت يومذاك في الثالثة والعشرين، وكانت هي في التاسعة عشرة. لكن والديها تصديا لنا ومنعانا.. قالوا لنا إننا

صغيران، ثم أخذني والدها جانباً ليحدثني حديث رجل لرجل. وأشار إلى أنني على الأرجح أسيطر على أفكار ديكسي الطفولية منذ أوائل مراهقتها، وهذا ما أصاب وتراً حساساً في نفسي.. فأنا أيضاً وقعت في حبها منذ بلوغي مرحلة المراهقة. وما إن بلغت السادسة عشرة من عمري حتى تأكدت أن ما أشعر به تجاهها ليس ميلاً فحسب وكنت كذلك أحاول فرد جناحيّ، كما يفعل كل شاب.. ولكن شيئاً ما كان يجرني دائماً إلى ديكسي.. ففيها شيء لم أستطع أن أجده في أحد سواها وطالما تساءلت عن طبيعة هذا الشيء. على أي حال ترقبت وانتظرت، ثم حين بلغت الثامنة عشرة بدأت أخطب ودها بلطف شديد.. كانت كما أريد: ساذجة وخجولة جداً، ولكنها كانت تتفتح كالزهرة لي فقط.

سألته ايريان بصوت أجش:

ـ وماذا حدث؟

ـ كالعادة.. خلال ذلك الحديث بين رجل ورجل، فقدت أعصابي، وقلت لأبيها إن أي أبله يرى أننا مجنونان بحب بعضنا بعضاً. وقلت له انني أنتظرها منذ سنين فأصيب بصدمة عميقة، فقد كان متمسكاً بالدين، كثير الشك مغفلاً عجوزاً، ولكنه كان يملك موهبة لجني المال بطريقة غير شريفة. وأعني بهذا أن موهبته تلك لم تكن تتناسب مع رأيه المعلن بتبجح. فاتهمني بأنني اغتصبتها، فغضبت كثيراً لأن التهمة جائرة غير صحيحة. فكان أن تشاجرنا شجاراً كبيراً، ظهر فيه كل الحقد الذي يحمله كل فرد من أفراد كاسيدي تجاه كل فرد من أفراد تشايس..

همست ايريان: «أوه.. لا».

ـ أوه.. بلى.. كانت ديكسي وأمها تستمعان خارج الباب فاتصلت الأم بأبي وطلبت منه المجيء ليفعل شيئاً. فقد كانت تعتقد أن قلب زوجها ضعيف، وهذا ما لم أرَ دليلاً عليه.. وجاء

أبي، ثم وصل فيلمور وزوجته وتحدثا عن الشركة ومستقبلها.

عضت ايريان على شفتها تتساءل عما حصل بعد ذلك.

جلس على حافة السرير:

- ما حصل بعد ذلك؟ بعد ذلك أردت أن أخطفها ولو كان لدي جواد أبيض لخطفتها. لكن الرأي أجمع على أن علينا الانتظار.. وهذا كان رأي والدي الذي حذرني أن أفكر ملياً قبل أن أتسبب بشقاق بين ديكسي ووالدها، فالنذل العجوز لا يغيّر رأيه أبداً أو يتراجع عن كلمته.

ابتسم قليلاً، ثم قال بقلق:

- في تلك اللحظات كان هذا ما أريده. لكن ديكسي، باركها الله، كانت مشوشة فلاحظت ذلك. ولكن ما لم أدركه أنه من السهل جداً تشويش ديكسي.

- هكذا سافرت بمفردك؟

- أجل.. انحنيت أمام الضغوطات وسافرت، وكان هذا قاسياً بالنسبة لي.

قالت ايريان برقة والدموع تجري على وجنتيها:

- أوه.. كيڤن.. لقد جرحتها.

- أجل.. اسمعي، لا أخبرك بهذه القصة لتبكي.. في الواقع بدأت أتساءل إن كنت أحسن صنيعاً بسرد هذه القصة عليك.

ضحكت: «آسفة.. لكن الأمر محزن.. ومؤثر».

- إنها أشبه بقصة سينمائية على ما أعتقد.

- لا.. لا تبدو هكذا.. فنظراً لمعرفتي بك وبهم أتصور ما حدث.. أنا لا أعرف والدها ولكن كل من أعرف منكم..

- لا تتابعي.. فهمت قصدك.

لوى شفتيه، ثم انحنى يقبل دموعها:

- حسناً، هل أنت قادرة على سماع ما تبقى؟ سافرت وأنا في

مزاج فكري غريب، وتركت وراثي انطباعاً بأنني دون جوان مغتصب. لقد تركت ديكسي مجروحة وحائرة.. كنت حائراً بمقدار أي واحد منهم، لكن كان لدي قناعة واحدة، أن ديكسي لي، وأن المسألة مسألة وقت. كنت أعد السنين لتنتهي.. لكن بعد عشرة أشهر على رحيلي راسلني والدي يخبرني بأن ديكسي تزوجت بمحض إرادتها من أخ صهري اللعين.. فهمت أن هذا من صنع لورنا.. لورنا، شقيقتي الصريحة عادة التي رأت كل شيء بدون أن تخبرني.

- ربما كانت تعرف أنك ستكون غاضباً كثيراً.

- ربما.. ولقد كنت غاضباً.. كان بإمكاني وقتذاك أن أقتل بولدن هيودجز.. أما كاسيدي الذي منعها عني لأنها صغيرة، وقدمها على طبق من فضة لشخص مثل بولدن، فظننت أنه فعل ذلك انتقاماً مني، آه.. يا إلهي.. ما أشدّ ما كنت غبياً!

- لكن هذا غير صحيح؟

- أجل.. لم يكن صحيحاً، لأن بولدن وقع في حبها أيضاً وأطاح بها عن قدميها.

- وهذا ما أظنه أيضاً.. إنه يحبها فعلاً.

- أجل.

تحركت ايريان بين ذراعيه: «لكنها لم تكن سعيدة معه».

تنهد:

- لا.. أتعرفين لماذا؟ أظن أن الجميع كان على حق، لأنها كانت فعلاً صغيرة وغير جاهزة لأي منا. أظن أن مشاعر بولدن العميقة نحوها أخافتها.. عندما كنت أعود إلى المنزل، كان يستحيل عليّ تجنبهما.. نعم كنت أنجح في إخفاء شعوري بالغبن، وهذا ما جعلها تحس بذنبها، وتزداد عدم ثقتها بنفسها.. لم يكن يغيب هذا كله عن بولدن.. وأظنه من شدة حبه لها كان دائماً في

www.liilas.com

موقف الدفاع. وهكذا أصبحت حياتها بيني وبينه جحيماً، وهذا جنون. أخبرتني يوماً أنها تزوجت الرجل غير المناسب ولكنها كانت وفية له.. كانت امرأة صادقة مخلصة من أسرة كاسيدي.

ـ أتعني...؟

ـ أجل.. لم يحدث شيء بيننا.. لم أكن أرغب فيها كزوجة رجل آخر.

همست: «عرفت هذا».

ـ لا أرى كيف تمكنت من معرفته، فثمة إشاعات مجنونة عنا.

ـ لم أظنك تقيم علاقة مع امرأة متزوجة فهذا ما لا ينسجم مع طبيعتك. اسمع ثمة أسباب كثيرة دعتني إلى الرحيل إنما لم يكن هذا السبب منها.

قال ببساطة: «أنا مسرور.. إنما دعيني أتمّ كلامي. عندما جاءت تراني ذلك اليوم في المكتب قالت لي إنها تأمل أن تكون حاملاً، لأنها أخيراً استيقظت على الحقيقة بأن على حياتها أن تستمر بطريقة أو بأخرى.. وقالت إنه تبين لها أن بولدن يحبها، وإنها منحته هذا الحق بمحض إرادتها. فتهجمت عليها بكلمات غير لطيفة، فأجابتني بأنها إحدى الغبيات ولكن عليها بسبب هذا الطفل الذي تحمله في أحشائها أن تصحح مسار حياتها. وللمرة الأولى تكلمت باقتناع حقيقي.. لكن ما لم أدركه حتى يوم الميلاد، هو أنها لم تستيقظ فقط على عدم فائدة هذه العلاقة الواهنة بل استيقظت أخيراً على الحب.. حبه هو، ربما لم تلاحظ قدوم هذا بنفسها، لكنني رأيته. الآن أستطيع أن أكون سعيداً من أجلها.

ران صمت لم يقطعه إلا وقع المطر المنهمر، لكنه لم يعد مطراً غزيراً.. ثم أضاف بصوت مختلف:

ـ كان هذا أمراً غريباً حقاً.. لأن اليقظة ذاتها حدثت لي أيضاً. أما أنت ففعلت ما تبقى، وكان فرارك نِعْمَ الصواب لأنه فتح عيني

على الحقيقة وأسقط الغشاء عنهما.

ـ لم يكن هذا سبب ما فعلت.

ـ أعرف.. لقد فعلت هذا ظناً منك أنني لن أتغير ولكنك أخطأت.. آترين، فجأة أدركت أن كل ما كنت أشعر به نحو ديكسي هو مجرد انجذاب إلى ما تمثله من جمال وذكريات طفولة ومراهقة.. أتفهمين؟

ارتجفت بين ذراعيه: «كيڤن».

ـ اسمعي.. واسمعي فقط. أنا أحبك! أحسست منذ تركتني بأنني سقيم مريض، إنما ليس بسبب كبريائي أو بسبب الانتقام، بل سقيم ومريض خوفاً من ألا أجدك أبداً وخوفاً من عجزي عن جعلك تفهمين ما حدث لي. يومذاك تأخرت عنك ساعتين ربما.. فحين اتصلت وقت الغداء، تحولت مكالمتي إلى الآنسة توماس التي أخبرتني ما حدث فعدت على أول طائرة وأمضيت الليل كله أفتش في محطات القطار والأوتوبيس.

رفعت ايريان وجهها إليه فلثم جبينها، وقال:

ـ ثم أصبحت حملاً ثقيلاً على كل معارفي وأقاربي، أما الذين يعملون معي فكرهوني..

همست والابتسامة تلوح على شفتيها: «آه، كيڤن».

ـ هذا صحيح.. كانت جوليا تدنو مني وكأنها تحمل كرسياً كالذي تحمله مروضة الأسود.

ضحكت ايريان، وقبل وجهها ثانية.

ثم اعتراها الجد:

ـ أنا.. أنا.. رحلت لسبب آخر، سبب لا تعرف عنه شيئاً.

سحبت نفساً عميقاً.

ـ اكتشف ناثانيال ماكمبهون أمر ماضيّ.. كان هو وجوك في مدرسة واحدة في الطفولة ثم التقيا حين أرسلته إلى الغرب.. وعلى

ما يبدو أنني ما زلت موضوع كلام.. ذكر ناتانيال لي هذا حين عدت إلى العمل في أثناء غيابك في ميلورن.

تسمّر كيڤن.. ثم قال بصوت أجش: «وماذا بعد؟».

ـ علمت بأنه يكرهك وبأنه يغار وبأنه لن يتوانى، وأنه لن يتردد لحظة عن استخدام ماضي ضدك إن تزوجنا.. سيعرف الجميع كل شيء عن ماضي القذر.. تصورت رد فعل أمه، وأختك.. إنه ذكي خبيث في مثل هذه الأمور. لم أعتقد أنني قادرة على التحمل كنت خائفة أن يؤذيك هذا.

وأخفت وجهها في ذراعه.. فقال يمسكها بكتفيها:

ـ ايريان.. انظري إلي.

رفعت أهدابها فإذا الألم كله في عينيها، الألم الذي أحياه ناتانيال ماكميهون بقوة، فتمتم كيڤن:

ـ يا إلهي! هل أظهرت لك يوماً أن ماضيك يعني أي شيء لي أبداً؟

ـ لا.. إنما لو اضطررت إلى الدفاع عني يمكن أن يعني شيئاً.. وما دام هناك خلاف بينك وبين أسرة ماكميهون..

ـ الخلاف الوحيد موجود فقط في مخيلة ناتانيال.. أعرف أن أمه تطمح من أجله، وأعرف أنه كان هناك بعض الخلاف يوماً إنما بين أسرة كاسيدي وتشايس لا بين أسرتي وأسرة ماكميهون.. في الواقع لدي أنا وفيلمور غلاقة عمل ممتازة، وهو يعرف جيداً عيوب ابنه.. فيلمور في الواقع رجل واقعي وإن كانت له ميول غريبة.. لماذا برأيك أطلق يدي بإدارة الشركة؟ ودعمني كل الدعم بشأن مسألة مركز التسوق؟ عرف كما عرفت..

ـ قرأت الخبر في الصحف.

ـ عرف أن شيئاً فاسداً يجري في تلك الشركة.

ـ لم أكن أعرف هذا.

ـ إن أكثر من قد يؤثر فيه ماضيك على علم به وهي توازرك بقة بالمتة.

اتسعت عينا ايريان، فقال:

ـ أتكلم عن لورنا، التي غضبت منها عندما أخبرتني تومي ما حدث، وواجهتها واتهمتها بـ.. حسناً.. باتهامات كثيرة وأعتقد أنني كنت شرساً جداً، لأنها اتهمتني أخيراً بأنني وقعت راساً على عقب بحب الآنسة هارت.

انتفضت ايريان فضمها إليه يكمل كلامه.

ـ وافقتها الرأي.. ثم أرادت أن تعرف كل شيء.. فأخبرتها كل شيء.. بما في ذلك السبب الذي يجعلك تظنين أنك غير مناسبة لي.. وكانت تومي قد ذكرت لي شيئاً عن إحساسك أنك غريبة متطفلة.. ولقد أعطتني لورنا رسالة لك، قالت أخبرها إن شيئاً مماثلاً حدث معها ولكنني لم أعرف شيئاً عن هذا الأمر إذ أخفته حتى عني، وهذا ما جعلني أحس بالأسى.. مع أنني لم أكن قد بلغت الثامنة عشرة يومذاك.. قالت إنها حين بلغت الحادية والعشرين أحبت رجلاً متزوجاً.. ثم نبذها فشعرت يومذاك بأن حياتها تهاوت وتحطمت وبأنها لن تسامح نفسها أبداً.. وعلى ما يبدو أن برايان وحده أحبها رغم كل شيء.. وأتصورها أوصلته إلى حافة الجحيم.. ولكنه هو الذي علمها كيف تؤمن بنفسها مجدداً.. وكانت سعيدة بزواجها به.

أغمضت ايريان عينيها فأضاف:

ـ المسألة الآن، هل تظنين صدقاً أن لورنا قد تطلب مني أن أبوح لك بشيء كهذا، لولا استعدادها للقبول بك ولولا اقتناعها بأنني أحبك حباً جماً.

همست: «أنا..».

ـ صدقي أنني قادر على التعامل مع نات ومع أمه أيضاً.

www.liilas.com

قالت بخجل: «أصدقك».

- أيعني هذا أنك ستتزوجيني؟ ربما عليّ أن أشير أن لا خيار أمامك في هذه المرحلة.

- أوه؟

- ستبقين هنا سجينة حتى توافقي على الزواج بي.

قالت والابتسامة تضيء عينيها بالحب والضحك:

- في هذه الحالة.. استعدّ لحصار طويل الأمد فهذه الفكرة تعجبني.

ضحك ثم ضمها بين ذراعيه بشغف ولكنه عاد فأبعدها ليسألها:

- هل نطلب العشاء الآن أم ننتظر قليلاً؟ فأنا سأطلب عشاء عارماً احتفاء بعيد مولدك.

- أوه..

رفع رأسه ينظر إليها:

- ماذا؟

- إنه تشارلي، لقد نسيته.. قد أستطيع العيش بعد هذا الحصار ولكنني لا أظن أن تشارلي قادر على ذلك.

- تشارلي؟ نسيت أمره.. ألم يتكلم حتى الآن؟ إن لم يتكلم حتى الآن فأشك أن يتكلم يوماً.

- إنه حالة أخرى من الغموض العميق والأسرار السوداء.

- هل هو حقاً؟

- هل هي.. إنها أنثى.

- إنه هي..

ضحكت: «إنها هي.. ولهذا لا تتكلم! فالذكر وحده القادر على تقليد الكلام».

- إذن..

- اضطررت إلى بيع جرو صغير حين اشتريتها.

- عزيزتي ايريان.. أنا حائر الآن.

- أوه، تعرف ما أعني، ظننت أنني أشتري ذكراً ولكنها كانت أنثى.. بإمكانك معرفة هذا من الإشارة التي على القفص والتي يجب أن تكون زرقاء.

- وهي لم تكن؟

- لا.. أتعلم؟ أظنها أسعد حالاً منذ اكتشفت جنسها، فقد توقفت عن توقع المعجزات.. وهذا هو سبب..

- إذن لن تستطيعي تركها بمفردها؟

فكرت ايريان قليلاً: «لا».

- إذن نتعشى ثم أقلك إلى منزلك.

تناولا عشاء على ضوء الشموع.

وسألت ايريان وهما يحتسيان القهوة:

- هل أنجبت ديكسي بنتاً أم صبياً؟

- الاثنين معاً.

- أتعني..

- أجل.. توأم.. يبدو أنه إرث في عائلة هيودجز، وهي سعيدة.

قالت ايريان بهدوء:

- أوه.. وأنا سعيدة من أجلها أيضاً.

ابتسم لها عبر الطاولة، ومد يده يمسك بيدها الأخرى.

- متى تتزوج؟

- في أسرع وقت ممكن..

- هذا عظيم.. في الواقع ليس التوأم أمراً غريباً في عائلة تشايس.. وأنا دهش لأن لورنا لم تنجب إلا ولداً واحداً.

- أوه! أخبرني الآن بكل شيء!

- ثمة أمر نسيت أن أخبرك به.. التقت ميري شاباً يريد الزواج

www.liilas.com

منها.

- مير.. وكيف عرفت؟

- تقفيت أثرها ظناً مني أنها تعرف مكانك أو تتصل بك.

أبعدت دمعة:

- كنت خائفة من الاتصال بها. أنا سعيدة من أجلها.

- لكن هناك مشكلة وهي إقناع والدها بأن يتركها ويترك ألين.

صاحت بعدم تصديق: «حقاً؟».

- أجل.. ليست الحياة بسيطة.. وأرسلت لك رسالة أيضاً.

الطريقة التي قال فيها كلماته جعلتها ترفع رأسها إلى الوراء لتنظر إليه:

- ماذا؟

قال بوقار: «لا أظن أن عليّ أن أكررها».

سألت بريبة: «ولمَ لا؟».

هز كتفيه: «حسناً، إن كنت مصرة فسأخبرك. لقد قالت إنك مجنونة لأنك أدرت ظهرك لرجل مثلي.. وسيم..».

- فهمت.. فلا تتابع.. وإلا أصابك الغرور. أما بالنسبة لهذه النظرة الخبيثة في عينيك..!

- وماذا ستفعلين بها؟

- سأفكر في حل.. انتظر فقط حتى أحصل على ثياب!

وضحكا معاً، ثم قال:

- أتعرفين.. لقد قلت لك أشياء كثيرة ولكنني لم أقل لك.. لماذا أحبك.. قلت فقط إنني أحبك.

همست: «لماذا؟»

صمت قليلاً، ثم قال عن غير استعداد:

- لأنني معجب بك كما لم أعجب قطّ بامرأة. قلت لك هذا في حفلة الميلاد.. لقد أحسست.. بشيء ما. وكان التصريح الأول

بأنني لست منجذباً إليك فحسب، بل أن فيك شيئاً يعجبني حقاً، وأحترمه.. شيئاً رائعاً ولطيفاً وإنسانياً جداً.. شيئاً دافئاً ولكنه محصور في أعماقي. اعتقدت أنني سأنجذب إلى هذا المزيج الغامض، حتى آخر عمري.

أنهى كلامه بهدوء، ودس يده في شعرها، والتفت أنامله الطويلة في خصلاتها فارتعشت، وقالت بصوت أجش:

- ظننت يوماً أنني أستطيع أن أموت سعيدة لمجرد قربي منك.. لكن هذا لا يقارن بما أشعر به الآن.. ماذا أستطيع أن أقول رداً على كلامك؟

تمتم بابتسامة:

- لست مضطرة إلى قول شيء بل عليك في المستقل القريب أي بعد زواجنا أن تظهري لي بالفعل لا بالقول.

ابتسمت وفي عينيها نظرة حالمة إلى المستقبل الواعد بالحب والحنان والأولاد.

* * *

www.liilas.com